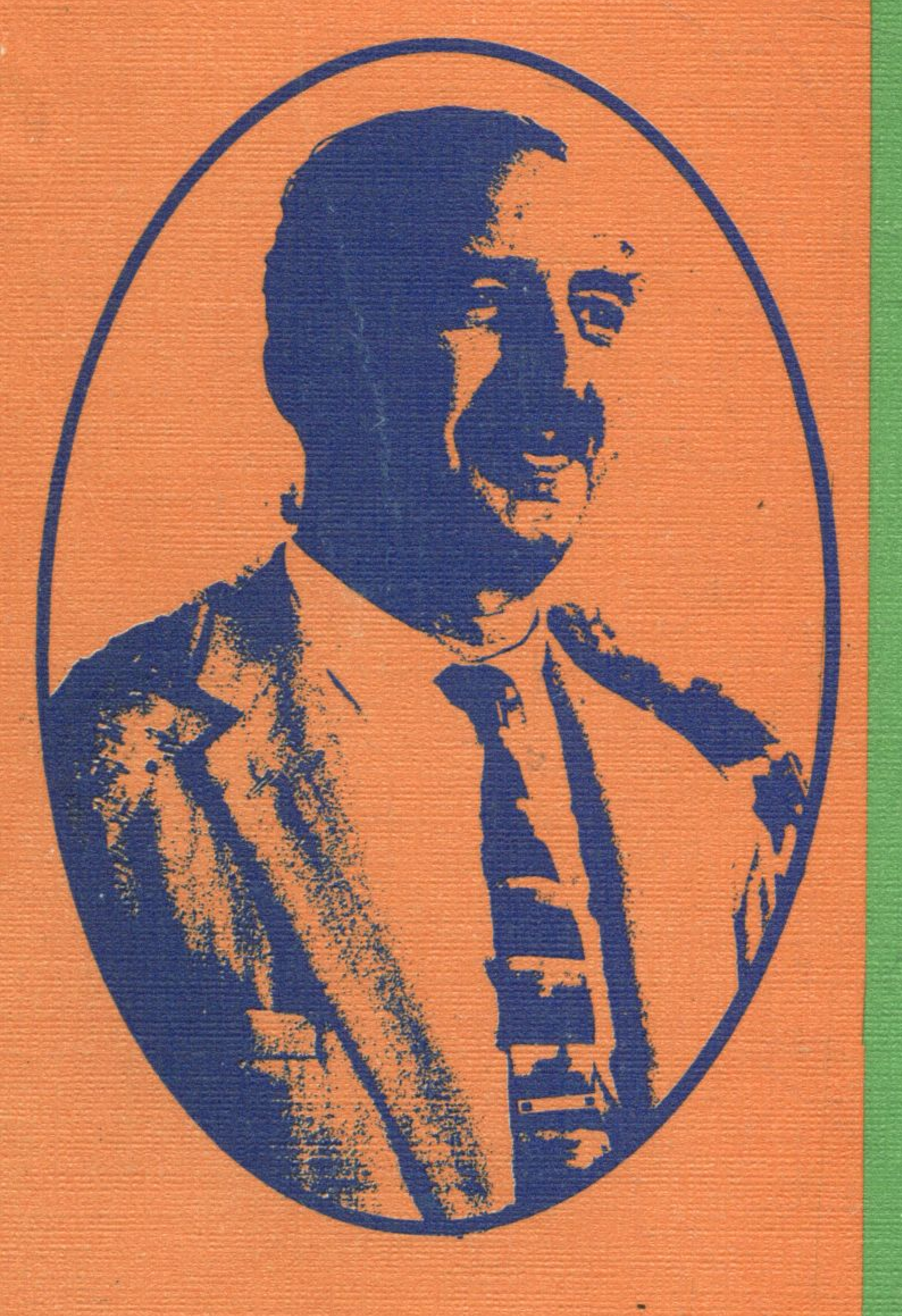
الدكتور حسان حتحوت

الطبيب الانسان
سعيد النجار





الطبعة الأولى
١٩٧٥

إهـــــداء 2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

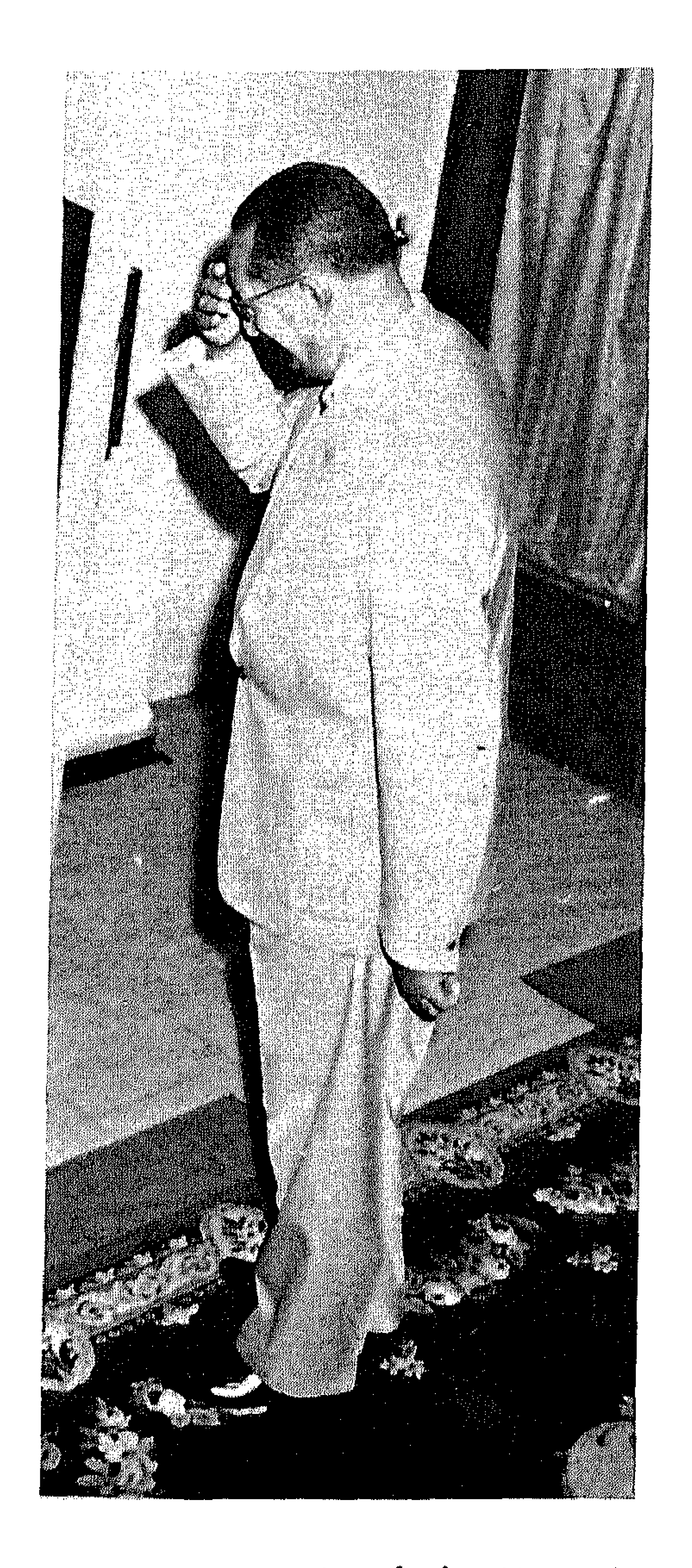
الطبيب الإنسان

سعيد النجار

الدكتور حسان حتحوت

الطبعة الأولى
١٩٧٥

منشورات دار ذات السلاسل



٢٧ ينـــاير ١٩١٦

١٤ اكتوبر ١٩٧٢

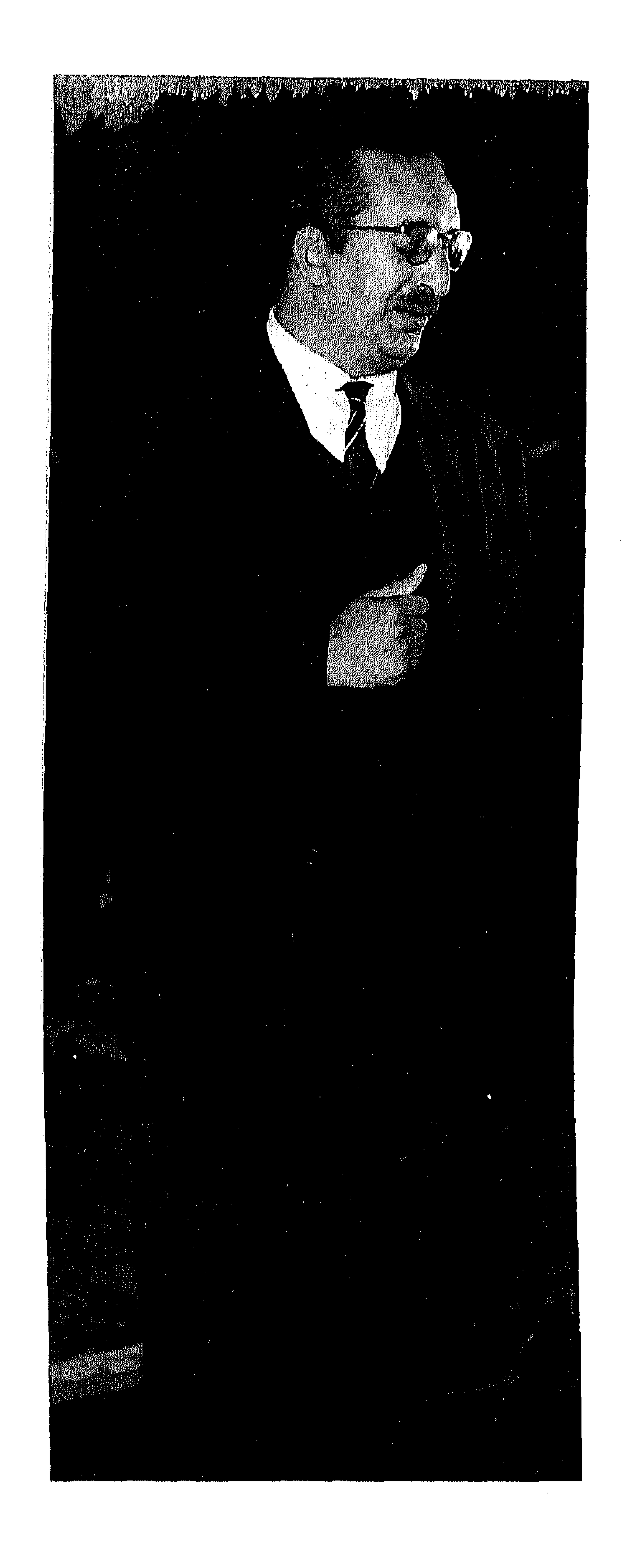
بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

يرصد ريع هذا الكتاب لخير بدأه
المرحوم الدكتور محمد السعيد النجار

إلى غادة

آخر العنقود



كلمات

عرفت غربته في هذا الزمان منذ عرفته ..

وامتدت معرفتي به اثنتين وثلاثين سنة .

وفيما عدا أستاذا لنا ــ رحمه الله ــ فلست أعرف فيمن أعرف أحدا عرف عددا من الناس كالذي عرفه سعيد ، ولا أحدا دخل بيوتا بعدد ما دخل سعيد ، ولا احدا دخل بيته ناس بمقدار ما دخل بيت سعيد ..

ورغم أنسه بالناس وانس الناس به فلقد كانت غربته في هذا الزمان بينة جلية ..

ان لكل زمان مستوى من الخلق ونمطا من التعامل بين اهله بعضهم وبعض .. وكنت أرى في سعيد من غدق الخير شذوذا عن المألوف والمعهود في أهل هذا الزمان .. ولا احسبنى أخطيء ان قلت في أهل أي زمان ..

ومن يوم عرفته حتى يوم ودعته وجدته هو هو ..

ويوم عرفته أبصرت رجلا من أهل الجنة يمشي على الارض ..

ويوم ودعته أبصرت رجلا من أهل الارض يمشي الى الجنة ..

ولست أدري في أي دور من أدوار حياته راض سعيد نفسه على فعل الخير وقاهرها عن فعل الشر ..

فمنذ عرفته لم أعرف فيه لهذه الرياضة أثرا .. فهو اما كان قد فرغ من ذلك واما كان قد جبل على الخير ..

ومارسته وشهدته وجربته وركزت أنظاري عليه فاذا الخير فيه سجية مواتية وطبع أصيل .. كانت كل أعماله خيرا ، وازيد فأقول وكانت كل أفكاره خيرا .

وبين من عرفت من الناس لم اعرف احدا وضع لحياته استراتيجية ثم صانها وحافظ عليها ولم يحد عنها كمثل ما فعل سعيد النجار ..

من البداية ركز سعيد النجار حياته على دعامتين :

الاولى : أن تكون حياته من وسائل رحمة الله بعباده ..

والثانية : انه في كل الامور يعامل الله لا الناس .. فهو في كل موقف طرف والطرف الثاني هو الله .

وكانت حياته فعلا من أسباب رحمة الله بعباده .. ورحمة الله واسعة .. وقد تصيب المحسن والمسيء .. وقد تتنزل على من يستحق ومن لا يستحق وفق ما درج عليه الناس في ظاهر التقدير ، وكان سعيد فعلا يبذل العون دائما دون أن ينصب موازين العدل أو يهيىء براهين الاستحقاق ..

كان في عون من يعرف ومن لا يعرف .. وفي عون من يثق به ومن لا يثق .. وفي عون من قصد اليه أو من لقيه مصادفة أو من توسم أنه يستطيع أن يعينه فسعى سعيد اليه من نفسه بغير دعوة .. وكم طرق سعيد من باب ليحمل الحاجة مقضية جاهزة دون أن يعلم صاحب الحاجة من قبل أن سعيدا على علم بحاجته .

وكم أساء ناس لسعيد حتى أثناء احسانه اليهم .. وكم أبصر سعيد أن بينهم من يستغله بغير حق .. وكم منهم من ورط سعيدا وأوقعه في حرج كبير من جراء مساعدته ويدرك ذلك فلا يرعوي ..

ويظل سعيد كالمصباح ليس في جعبته الا النور ..

فلقد وطن نفسه من قبل جيدا الا تثنيه أمثال هذه المواقف عما ندب نفسه له ، فلم يكن للاساءة في نفسه من رد فعل الا مزيد من الاحسان .

وكم لقي سعيد في عون الناس من عنت !!

ما كان لمثله أن تكون كل طلباته للناس مجابة وكل مساعيه لهم مقضية ..

وفي مجال الرفض فقد كان سعيد كثيرا ما يتعرض للرفض والزجر والنهر والصد وبالتنبيه عليه بعدم العودة مرة اخرى .. بل ويكاد يطرد كأنما هو شحاذ لحوح .. فاذا البسمة هي هي .. والمنهاج هو هو ..

والقاعدة الراسخة تزداد رسوخا : « سأحاول .. فان نجحت فقد ساعدت .. وان لقيت الزجر او الفشل او الجفاء فهذه أمور اقبلها راضيا ولا أتقيها بالاحجام فأكون ضيعت باحجامي على المحتاج فرصة قد تنجح » !

وذكرت كتابا لفضيلة الامام الدكتور عبد الحليم محمود عن الصوفي المجاهد أبي الحسن الشاذلي يقول فيه : « وكثرت شفاعات أبي الحسن بكثرة المظلومين والمساكين والذين لا جاه لهم ، والضعفاء وذوي الحاجات على مختلف الوانهم ، وأخذ يتردد على ولاة الامور شافعا ومدافعا ومحاميا .. حتى جهل ولاة الامور بقدر الشيخ أبي الحسن لكثرة تردده في الشفاعات .. » ..

وفتحت الكتاب لسعيد فأقرأته ذلك فابتسم .. ان أولياء الله يعاملون الله لا الناس .. ومهما لقوا من معاملة فهم لا يبصرون الناس في أية معاملة .. الطرف الثاني في أي تعامل هو الله .. وما من قوة تحجب عنهم التطلع الى الله .

ومن العسير أن ندلل على طاقة الخير فيه بالامثلة المحدودة .. فلم تكن شهامته حوادث مفردة في حياته ، بل كانت حياته كلها حوادث شهامة .. كانت جلائل الاعمال روتين حياته وليست انجازات يقوم بها بين الآن والآن .

منذ الفجر — كل فجر — يصحو وجموع المحتاجين على باب داره ..

فان عاد لبيته في الثانية أو الثالثة صباحا وجد جموع المحتاجين على باب داره ..

وفيما بينهما هو في رفقة جموع المحتاجين يقضي حوائجهم ..

وفي صحته هو يجاهد لهم ..

وفي مرضه هو يجاهد لهم ..

وفي أواخر أيامه كانت الحياة تفارق قلبه رويدا رويدا فلا يكف عن المساعدة ..

ويقعده المرض فاذا السرير في الصالون ليدخلوا له بحاجاتهم يكتب لهم في قضائها ..

ويذهب في خدمة مريض بالمستشفى ، ويخبرني انه خلال عودتـــه لبيته كان يحس في صدره من الالم ما يجعله يقدر كيف أن بعض المصابين بالجلطة القلبية يتمنى لو مات ليتخلص من الالم ..

حتى آن لمتعب أن يستريح .. ولغائب أن يعود .. ولمسافر أن يصل .. ولمؤمن عاش عمره ينظر الى الله ، أن ينظر الله اليه ..

هذا الكتاب

هل نكتب هذا الكتاب لتخليد ذكرى سعيد النجار ؟

أوليس الذي يحاول أن يبني الخلود في دار الفناء كالذي يحاول أن يكتب على وجه المـــاء ؟

وهل ينفع سعيدا حيث هو الآن ان تدوم ذكراه في دنيانا هذه عاما او تدوم ألف عام ؟

ولقد قضى سعيد نفسه رحلته في هذه الدنيا زاهدا في بهرجهـــا عازفا عن بريقها مدركا أن العمر فيها وان طال كأنه عشية أو ضحاها .

وانما احسسنا ــ نحن اصدقاءه وعارفيه ــ بالفراغ الكبير الذي خلفه رحيله .. ولا اعني بذلك شوقنا اليه فحسب ووحشة أنفسنـــا بفقده . ولكننا احسسنا أن المجتمع الذي عاش فيه سعيد النجار قد قل وزنا برحيله عنه . ورفع من بين الناس لا ماكان يثمره بينهم من بر فحسب ، بل النموذج الذي يبصره الناس فيؤثر فيهم بالقدوة ان لم يكن بالخدمة المباشرة .

عندما يذكر تعبير « ولي من أولياء الله الصالحين » يذهب الفكـــر تلقائيا الى حقبة خالية من التاريخ فيرسم صورة رجل عاش في الماضي البعيد ذي لحية بيضاء وأثواب سابغة ولسان لا يني عن التمتمة بالذكر والتسبيح نهاره صيام وليله قيام يعكف في خلوته بالبيت أو بالمسجد على الفروض والنوافل والاذكار والاستغفار وسائر انواع العبادات .

ولقد عرفنا سعيد النجار فليس منا من لم يشعر أو يصرح بأن هذا الرجل ولي من أولياء الله الصالحين .

فماذا عن الذين لم يعرفوه ؟

وماذا عن أولادنا وأولاد أولادنا ؟

هل يعلمون أن أولياء الله يوجدون أيضا في هذا الزمان الذي نعيش فيـــــه ؟

وان ولي الله قد يكون خريج جامعة وأفنديا يلبس البدلة وطبيبا يعالج المرضى ورجلا حليق اللحية يسعى بينهم من بيت لبيت يؤدي هنا خدمة تبدو صغيرة وهناك خدمة أخرى وفي مكان ثالث خدمة ثالثة : ولكنك تجمع كل هذه الخدمات فتجد أنها تأخذ عليه يومه كله كل يوم ، وأنها تحرمه من الجلوس الى أسرته وأولاده ، وأنها تضيع عليه مواعيد الطعام وتنتقص من نومه لدرجة لا يقدر عليها احد غيره .. وأنها بحساب الجهد العضلي البحت في الانتقال من مكان لمكان تشكل مجهودا ينوء به أقوى الرياضيين وأوفرهم لياقة بدنية ان درج على القيام به يوما وراء يوم وراء يوم طيلة السنوات والسنوات ؟ ..

وفي زمننا هذا ؟

في هذا الزمن الذي لايمكن أن يوصف بانه زمن النفوس الصافية والروحانيات الدافقة ومحبة الانسان للانسان على مستـــــوى فرد أو جماعة ؟ في هذا المجتمع المادي .. الذي صار فيه ((الاخذ)) منهاج حياة للناس وانما انشعبوا بعد ذلك الى أخيار ((يأخذون)) بالحق وأناس عاديين لا يهمهم ((أيأخذون)) بالحق أم بالباطل ..

ثم نشهد رجلا جعل ((العطاء)) منهاج حياته ، ونشهده ينجح في أن يسبح ضد التيار وأن يعلو ضد الجاذبية !

هذا الكتاب اذن ليس من أجل سعيد النجار ..

وانما هو من أجل الذين لم يعرفوه .

وهو من أجل ابنائنا وأبناء ابنائنا .

فان سبل الخير تكون أيسر اتباعا ان وجدت القدوة التي يقتدى بها والاسوة التي يستهدى بها أو يقتبس من سيرتهـــــا . أحببنا أن نضع أمام أعينهم ملامح هذا الرجل الطبيب الطيب ، وامارات انسان دخـــل المدرسة مثلهم ابتدائية وثانوية ثم دخل كلية الطب ثم تخرج فعمل طبيبا

حتى مات . اننا ونحن كلنا نسعى الى تأمين مستقبل أولادنا بشيء من المال ندخره ، نشعر أن مما يطمئننا على مستقبل أولادنا أن نترك بين أيديهم مثل هذا الكتاب في مثل هذا الانسان .. ولست أدري أي أيد كتب الله أن تتناول وتتداول هذا الكتاب من وقت صدوره الى ما شاء الله .. ولكنني أشعر بالاطمئنان اذ أترك لذريتي من بعدي هذه الصفحات عن سعيد النجـــار ..

في عددها السادس لعام ١٩٧٢ نعته مجلة الجمعية الطبية الكويتية نعيـــا جاء فيــــه : « كان رحمه الله أقرب الى الاسطورة منه الى رجل يعيش بين الناس .. وكان طاقة عجبنا كيف احتواها وعاء آدمي واحد ، وكانت حياته قصصا تروي وأمثالا تضرب ومروءات تأخـــذ بالالبـــاب وتتناقلها الالسنة أحاديث وأسمارا وأخبارا ، لا ذكريات عن ميت رحل ولكن اعجابا بمؤمن حـــي ..

منذ استشرفت روحه معنى الحياة جعل من حياته رسالـــة وجعل مفتاحها أن تكون حياته كلها فيضا من رحمة الله بخلقه . ولم يقسم حياته ساعة لقلبه وساعة لربه كما يقولون ، أو وقتا للعمل ووقتا للراحة ، أو قسطا للاسرة وقسطا للناس ، ولكنه جعل هوى قلبه في هوى ربـــه ، وراحته أن يعمل للناس ، وأسرته كل من يقصده ولا تفرقة في ذلك بـــين أحد وأحد على أساس قربى أو دين أو عرق أو لون ..

فكان حقا من رحمة الله بالناس ، وجعل صلاته ونسكه ومحياه ومماتـــه لله .

والذين يعرفونه طبيبا يعرفون أنه كان الطبيب الانسان الذي لا يضن على مرضاه بجهد ولا بوقت ولا بمال . ولم يتخذ الطبابة للربـــح قط ، فلم تكن له ابدا عيادة خاصة ولم يكن له مورد غير راتبه ، مع أنه كان يؤدي ما يؤديه عديد من الاطباء مجتمعين سواء للمريض العام أو الخاص وسواء في مستشفى أو بيت .

والذين يعرفونه انسانا يعرفون سعيه من أول النهار الى أواخر الليل في مصالح الناس وحوائجهم طبية وغير طبية ، ويعرفون جمهرة الناس على بيته في أغوار الليل ليلقوه بالمزيد من حاجاتهم عند أوبتـــه آخر الليل أو خروجه أول الصبح .

والذين يعرفونه من مطالع شبابه عرفوا فيه كل هذه الصفات من مطالع الشباب ..

والذين شهدوه في مرضه الاخير شهدوه في عنفوان المرض وحتى قرب النهاية مهتما بأمور الناس وحاجاتهم ، يكتب ما يكتب ، ويكل الى غيره ما لا يستطيع ، ويوصى فلانا بهذا وفلانا بذاك .. .. .. »

وما أصدقه وصفا لهذا الرجل ..

الذي نكتب هذا الكتاب عنه في العام الثالث بعد رحيله ، تذكرة فيما بيننا ، ونورا لمن بعدنا .

الغروب

ازدحم الاطباء حول سريره بغرفته بالمستشفى الاميري بالكويت .. في نكسة لم تكن الاولى فظن الاطباء انها ليست الاخيرة .. عشـــرات الآراء كانت تملأ الجو وعشرات من العقاقير كانت تودع انبوب التسريب الوريدي الذي كان يقطر في وريده قطرة قطرة ..

ومع ذلك فقد ظل ضغط الدم يهبط رويدا رويدا .. وفتح عينيه بعد اغماض ولكن كان واضحا لي أنه يفتحهما على غير ما في الغرفة ، بل على غير ما في الدنيا ..

وتفصد جبينه بحبات عرق كانت تتحدر على وجهه ورقبته .. وفيما انشغل الاطباء بالجدل العلمي صرفت همي الى تجفيف عرقه والتنسيم على وجهه بورقة في يدي والهمس بالشهادتين . وكلما اشتد الوطيس المطبي بالاطباء بدا أنه لا يزداد عنهم الا بعدا .. واستمر ضغط الـــدم في النزول .. وفي لحظات تلاحقت أنفاسه عميقة قوية وبعد دقائق زفر زفرة قوية لفظ فيها الحياة وانتقل بها من دار الى دار !

واعترت الاطباء من زملائه نوبة رفض للأمر الواقع .. لم يريدوا ان يصدقوا أن هذا الصديق الحبيب قد أكمل رحلة الحياة الدنيا .. وعبثا راحوا يحاولون التنفس الاصطناعي ومنبهات القلب والدفعات الكهربائية ... ولكن هيهات !

وفيما عدا المهمة الشاقة التي وكلت الي وهي ابلاغ السيدة الكريمة المؤمنة زوجته بالنبأ .. وكانت في غرفة مجاورة بالمستشفى ، فانني لم أجزع على صديقي بل أحسست ــ ولاول مرة ــ بالاطمئنان عليـــه والسكينة له .

وكان بالمستشفى كذلك ابن أخته وهو شاب زاده الله بسطة في الجسم والصوت والعاطفة .. وصادفنا صعوبة ونحن نخرج به من الجناح المليء بالمرضى في تلك الساعة من الليل ..

وما هدأ المكان بعد صخب حتى عدت الى الحجرة حيث كان رحمه الله وحيدا .. وأزحت الغطاء عن وجهه .. وطبعت على جبينه قبلة .. وناجيته قائلا : « هنيئا لك لقاء الله .. ادع الله يجمعنا عنده » .. ثم أسبلت الغطاء على وجهه الصافي وكان هذا آخر العهد .

أحسست بالاطمئنان على صديقي فلقد عمل حياته دائبا في الاعداد لهذا اليوم .. احسست أنه بلغ غايته وبلغ مأمنه وبلغ هدفه المنشود الذي سعى اليه بعزيمة واصرار .

لقد بلغ خاتمة المطاف ونعمت الخاتمة ..

وأنظر فيمن حولي فأستبين أن يوم الحزن عليه كان هو يوم العيد الاكبر لديه ..

وانظر خلفي الى سنوات عمره الست والخمسين وما انفق فيها من جهد ومن مال ومن صحة ومن سهر ومن غدو ورواح الى سبيل الله .. فأحس أن كل هذا زاد يتجمع ليصحبه الى آخرته .. فتلك هي العملة الوحيدة القابلة للتحويل من الدنيا الى الاخرى .. وأشفقت على الذين يقضون رحلة الحياة في جمع الملايين وملايين الملايين ثم يدعوهم الداعي فلا يكون معهم مما أفنوا العمر فيه نصيب الا ما كان في سبيل الله .

وأذكر منهاج حياة سعيد فأدهش كيف استطاع هذا الرجل ان يعيش الى سن السادسة والخمسين !!

ولم تكن وفاة سعيد مفاجأة لي .. ألقى الله في روعي من قبلها أنها الوعكة الاخيرة .. وأن الرحيل وشيك ..

وقبلها بأيام ذهبت للمستشفى فوجدته نائما .. وتركت قصاصة كتبت عليها « جئت أحيي سيدي سعيد النجار فلم أشأ أن اوقظه وسأعود مرة أخرى أن شاء الله » .. كانت أول مرة القبه فيها بسيدي .. فلقد احسست أنه لم يعد منا اهل الارض ، وأنه بسبيله أن يكون من أهل « هناك » .. مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

ولم يكن هذا بداية ما تولاني من هذا الشعور .. بل لقد صارحته في وجهه بذلك ..

تتابعت وعكاته في الاشهر الاخيرة وظل الناس لا يرحمون ولا يشفقون ولا يقدرون ولا يقتصدون فيما يكلفونه به في قضاء المصالح والحاجات .. مما اضطرني أن أكتب لافتة أعلقها على باب شقته التي انتقل اليها بمناسبة اجراء اصلاحات معمارية في فيلته بالشرق .. كتبت فيها أن الدكتور سعيد في حالة صحية تستوجب الراحة ولا تمكنه من أداء ما يطلبون وأهيب بهم أن يدعوه حتى يعافى .. وذهبت مرة فاذا هو قد اخرج السرير الى غرفة الصالون ليقابله الناس .. ووجدت حوله جمهرة منهم وهو منهمك في كتابة التوصيات والنصائح .. وصحت به أن يتقي الله في نفسه وفي أولاده .. وبنفس البسمة والبشاشة والهدوء أجاب « ان شاء الله .. سأدخل غرفة النوم والتزم الراحة » .. ولكنني قلت له « لقد فات الاوان يا سعيد .. فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين » !!

ولم تكن تلك بطبيعة الحال هي المرة الاولى التي ننهره فيها على بعثرة صحته واحراق شمعته على هذا النحو .. بل هي سلسلة امتدت سنوات وسنوات .

لم يكن يرفض لاحد طلبا .. فأخذت نفسي وانا صديقه الصدوق بأن أرد كل مريضة تأتي الي في صحبته فأصرفها أو اكلها الى غيري من الاطباء .. وذلك بعد أن لحظت أن الناس تطلب منه أخذهم بنفسه الى الاطباء الاختصاصيين . معلنا أنني سأقاطع كل من يؤذي صديقي في صحته بحمله على القدوم بصحبته ..

وذات مرة في عام ١٩٦٠ حاولنا اقناعه — السيد عبد الرحمن العتيقي وكان آنذاك مديرا للصحة ، وأنا — بل وأخذنا من سيارته السماعة وجهاز ضغط الدم حتى نجرده من سلاحه فلا يلبي طلبات المرضى في البيوت .. ولكن هيهات هيهات ..

ولقد كان قسط كبير من طلبات البيوت هذه لامراض تافهة أو وعكات بسيطة يستطيع صاحبها أن يصبر عليها أو أن يذهب للمستوصف القريب أو المستشفى .. وكانت تأتي في أوقات لا تراعى بديهيات اللياقة

.. وكان الدكتور سعيد رحمه الله يدرك ذلك ويصارحنا به .. ولكن ما حيلتنا في رجل بنى منهاجه على ألا يرد طلبا .. ولم يدخل في منهاجه أن يقوّم وجاهة هذا الطلب ؟ وشاء أن يجعل من حياته اثباتا على أن الصدر البشري يتسع لكل شيء .. وأن الايثار في الناس يقدر ان يجبّ الأثرة وان استشرى مداها واتسع ؟ !

ومنذ أغمي عليه في الجناح الرابع عشر بالمستشفى الاميري سنة ١٩٥٩ — وهو نفس الجناح الذي توفي فيه — أثناء سعيه في مصالح بعض المرضى ، حاولنا أن ننظم حملة بين الاطباء لاشعار كل مريض يستعين بسعيد النجار ولو بكتابة توصية ، انه مريض غير مرحب به ، وتصورنا أننا بذلك ما دمنا عجزنا عن سعيد فليس أمامنا الا اقناع الناس بالكف عن استخدامه والمشقة عليه .. ولكن هذه الحملة لم تثمر على الاطلاق .. فان المحبة كانت تتغلب على الحزم .. هذا عدا أن الاطباء ايضا كانوا في أسر سعيد النجار .. ندر منهم من لم تصادفه مشكلة عويصة أو غير عويصة في العمل أو في غير العمل فتصدى لحلها سعيد النجار ..

الاطباء كسائر الفئات ندر منهم من لم تكن لسعيد عليه يد أو أياد لا يكفر بها الا جاحد ..

طالما كنت أمازحه بقولي : «أنت من مراكز القوى يا دكتور سعيد» .. ولكنها كانت القوة التي تأسر الناس بالمحبة لا بالجبروت .. وما أصدق الشاعر العربي الذي قال :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهمو فطالما استعبد الانسان احسان

ومات سعيد ..

وبدأنا نسأل عن اجراءات الغسل والكفن والنعش وشهادة الوفاة ووثائق السفارة وجواز السفر ..

نعم بدأنا ..

لان الذي كان يقوم بكل هذه الاجراءات ولكل من عرفنا ممن سبق .. كان هو الدكتور سعيد النجار ..

منبت الخير

ولد الدكتور محمد السعيد النجار رحمه الله في ٢٧ يناير عــام ١٩١٦ بمدينة دمنهور بالوجه البحري بمصر . أما بلد الاسرة الاصلي فبلدة القرشية غربية ، واستقرت الاسرة بعد ذلك بمدينة طنطا عاصمة مديرية الغربية .. وكان والده المرحوم المهندس محمـــد علي النجار ووالدته المرحومة السيدة أسماء محمد الشعراوي .. وكان سعيد الثالث بــين ثمانية من الاخوة ، تكبره اختان ويصغره اختان وثلاثة اخوة . وانتقلــت الاسرة مع الوالد بحكم العمل حتى أسس الوالد المهندس مصنعا كبــيرا للثلج بمدينة طنطا .

وبحكم ميلاده نشأ واخوته نشأة بر وخير وتدين .. فقد كان والداه مؤمنين خيرين .. والظاهر ان السلالة كلها سلالة طاهرة طيبة .. فلقد حدثنا احد أصدقاء الدكتور سعيد رحمه الله منذ الطفولة فقال : « أرسل الله الانبياء والرسل لينشروا دينه ويحثوا على مكارم الاخلاق .. ومن آن لآخر يرسل الله بعضا من عباده الصالحين ليكونوا قدوة للناس ، وحتى يشعر الناس أن الدين قائم وأن الفضيلة باقية وأن الخير ما زال في الناس على وجه الارض ، ومن هؤلاء الناس فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار وحفيده الدكتور سعيد النجار .... انني أشــكر اللـــه أن أســـعدني في طفولتي بزمالة سعيد النجار .. لم يكن لي اخوة ولكنه كان لي نعــم الاخ ، وليس لي فقط بل للجميع أقرباء وغرباء .. وكان في طفولته التلميذ المثالي الذي يضرب به المثل في الصدق والامانة .. وكان في طفولته أقرب الى جد الرجال منه الى لهو الاطفال ! »

كان في مدرسة دمنهور الابتدائية أصغر تلامذتها عند التحاقه بها .. حتى لقد وصفوه دعابة لقريب له راح يحضره من المدرسة : انظر أصغر تلميذ في التلاميذ فهو سعيد .

وكان رغم ضآلة جسمه وسنه صلب العريكة ازاء ما يتعابث بـه التلاميذ من عدوان على بعضهم البعض .. ولم يكن في ذلك مدافعا عـن نفسه فقط بل مدافعا عن كل ضعيف أو مستضعف ، ولم يكن يتردد في ذلك في الاشتباك مع أي تلميذ مهما بدا أكبر منه جسما أو أوفر منه قوة ، وكان ايمانه بجهاده للحق يعطيه من العنف ما يغلب به ضخامة خصمه .

لحظ سعيد الطفل مرة أن ابن الجيران قد خرج الى الشرفة وتصرف تصرفا غير لائق .. فما كان من سعيد الا أن احضر نبلته وصوب حصـاة اليه اصابته في أذنه .. وانزعج الفتى ولكن سعيدا بادره في حزم : « هذه المرة في أذنك والمرة القادمة في عينيك .. » ، وأذعن الفتى صاغرا لدواعي الادب والنظام وحسن الجوار .

ولم تكن تلك الخشونة أو الصلابة أو العنف فيه من قبيل النزق أو الاندفاع او العصبية . بل كانت قوة حقة بدليل ما كانت تتخذه أحيانا مـن مظهر القوة في السلبية .. التي تتجلى في قصته مع مدرس الرياضة ..

طرح مدرس الرياضة مسألة علي السبورة ودعا أكبر تلاميذ الفصل للاجابة عليها فلم يستطع .. واراد المدرس أن يهزأ بالتلميذ فدعا سعيد النجار اليها وكان أصغر تلاميذ الفصل ولكنه كان بارعا في الرياضة ، فحل المسألة على الفور .

وهنا يبدأ الاختبار . فان المدرس امعانا في عقوبة التلميذ الكبير أمر سعيد النجار أن يصفعه على وجهه .. .. ولكن سعيدا الصغير وجد أن هذا عمل غير لائق ولا عادل ، فوق أنه جرح لكرامة زميل له فرفض أن ينفذ أمـر الاستاذ .

ثم ان المدرس أخذته العزة فشدد على سعيد يأمره بلطم زميله .. ورفض سعيد .. وازداد المدرس الحاحا غضوبا وزاد سعيد اصرارا على الرفض .. فهدده المدرس بأنه اما أن يضرب زميله واما أن يتلقى هو من الاستاذ صفعة على وجهه : وأصر سعيد على موقفه فصفعه الاستاذ صفعة كان له منها مهرب لولا ما جبل عليه من المروءة والاباء وكرم النفس.

ومن بعد .. بقي في طبع سعيد الا يمد يده بالاذى لانسان ..

حتى الذين آذوه ، والذين ظلموه ، ودارت الايام فكان في وسعه أن يؤذيهم في غير ظلم ، كان يترفع عن أن يجرحهم أو حتى يخدشهم ، لانـه

آلى على نفسه أن يكون من وسائل الرحمة لا من وسائل العدل .

ولقد بلغ من سماحته ورحابته وخفضه للناس جناح الرحمة أن ظن الكثيرون أن هذا الرجل كالحمل الوديع يستطيع أن يسخره من يشاء وأن يسخر منه من يشاء وأن يدوس على طرفه من يشاء وأن يستخدمه من يشاء وقت يشاء ..

ولم يكن هو من جانبه يبذل أي جهد لتبديد هذا الوهم فكان ايجابه الدائم مغريا للناس على استغلاله في الصغيرة والكبيرة وقد عرفوا أنه الرجل الذي لا يقول لا ..

ماذا أقول ؟

بل أقول انه هو كان يشجع الناس على ذلك وكان دائما أسبق منهم الى قضاء حوائجهم الهامة والتافهة ..

كان كما وصف الانجيل يمشي ميلين لمن سخره ميلا .. ويعطي الثوب والرداء لمن طلب الثوب فقط .

بل كان يعطي من غير أن يسأله أحد ..

أيام كان معيدا بكلية الطب تسامع ان أربعة من طلبته سطا لص على مسكنهم وسرق ما كان منشورا على حبل الغسيل من ثيابهم .. ويفاجأ الطلبة في المساء به يطرق بابهم وقد حمل لكل منهم بيجامة وغيارات وجوارب كانت كل حصيلته من الثياب التي جمعها من بيته تحت أنظار زوجته المندهشة .. وبقي له روب كان يلبسه على ملابسه الداخلية ! ويطلب منه بعض طلبته شرح أحد الموضوعات ويضيق الوقت الرسمي ، فيدعوهم لبيته ويشرح لهم ويوغل الليل فيقدم عشاء من الفسيخ والخبز ثم يستأنف الشرح حتى يفهموا الدرس على خير وجه وينصرفوا .. ومن نافلة القول أن اذكر أنه كان درسا مجانيا لوجه الله ولحق تلامذته عليه .. فأين هذا مما نراه اليوم من الاتجار بالعلم ومأساة الدروس الخاصة بالعملة السهلة والعملة الصعبة وسرقة الجثث الى بيوت أعضاء هيئة التدريس لتكون في خدمة الدروس الخاصة وحتى لا تجد طريقها الى مشرحة الكلية حيث يجب أن تكون ليتعلم عليها الطلاب ؟ أين هذا من أعضاء هيئة التدريس الذين يضنون على الجدول الرسمي بالجهد والوقت لتكون للعلم سوقه السوداء ودخوله الطفيلية وأتاواته المفروضة ؟ أين هذا من القدوة التي

يقدمها المعلم للمتعلم وفي أنبل مهنة وهي مهنة الطب : التي ينبني دستورها على الامانة والايثار والضمير الحي ؟

ومع ذلك فقد كان الطريق الجامعي أمام سعيد النجار وأمثاله طريقا وعرا مفروشا بالاشواك والمهالك .. بينما كان مفروشا بالورد والريحان والرعاية والاكرام أمام أصحاب النقيض الاخر ممن استمروا وسلكوا ووصلوا لاعلى المناصب وجمعوا أكبر الثروات . وتعست أرض تنفي طيبها وترعى خبثها .. ولكنه من بعض ما قضى الله على بلادنا .. وما ربك بظلام للعبيد .

كان اذن لا يمد يده باذى ..

وكان — في حدود نفسه — يقبل أن يؤذيه الناس ولو ظالمين ولا يقبل ان يؤذي الناس ولو عادلا .

ولكن هذا الرجل الهين اللين الوديع ، الرقيق كأنه النسيم الحيي كأنه العذراء ، كان لا يحجم أن يمد يده ليرفع أذى عن برىء أو ظلما عن مظلوم .

كان يركب الترام في القاهرة يوما فاذا بشاب يعاكس احدى الفتيات ويسمعها عبارات غير مهذبة .. ويبدو أن الشاب ظن أنه في مأمن من الناس لانه كان هرقل الجسم بارز العضل فكأنه مصارع أو رباع .. وبالفعل سكت الناس عنه فلم يتصد له الا سعيد النجار .. بدأ بالحسنى وبصوته الناعم الخفيض يذكره أن المروءة تقضي أن يعتبر كل فتاة كأخته فيحافظ عليها ولا يرضى لها ما لا يرضى لاخته .. والذين يعرفون سعيد النجار يعرفون أنه لا يشخط ولا ينطر ولا ينضح صوته بعنف .. ولعل هذا أغرى الشاب به فأقذع له القول وسعيد يزيد رقة وهو يحاول أن يقنع الشاب دون أن يحرجه أو يجرح كرامته .. ولكن الشاب زاد نزقا فدفع سعيدا في صدره ..

وهنا كانت المفاجاة ..

وقليلون من الذين يعرفون سعيدا يعلمون انه في مرحلة معينة تعلم فيما تعلم المصارعة اليابانية ..

في لمحة طرف كان العملاق كالعصفورة في يد سعيـــد النجار .. وذراعه ملوية وراءه وهو يتأوه من الالم .. وسعيد يهمس في أذنه معتذرا بأنه هو الذي اضطره الى هذا ، ويستفسره ان كان في نيته أن يكف عن معاكسة الفتاة .. وكانت الصدمة بالغة على نفس العملاق فما أفلت سعيد يده حتى قفز من الترام أثناء سيره ليخفي خجلته وسوأته .

لم يكن يخاصم الا في الحق ولم يكن يخاصم الا القوي .. الضعفاء والفقراء والصغار والمتواضعون اخوته وأحبابه .. ولكنه وهو معيـــد بجامعة القاهرة يرى أن استاذ القسم ــ وكان أجنبيا ذا نفوذ ــ منحرف عن الامانة في واقعة تتعلق بسرية الامتحان وعدالته ، ويخاصم الاستاذ وهو معيد ، ويضع يده على وثائق يذهب بها الى الصحفي فلان الذي كان يعمل بدار كذا للصحافة .. ويعده الصحفي بتبني القضية ولكنه يذهب بعد يومين ليفاجأ بالصحفي يعتذر له بأن الوثائق فقدت منه .. ولم يزد سعيد على أن قال : « أنت قبضت يا أستاذ محمد ؟ » .. ولم ينسها له سعيد من بعد حتى بعد أن أصبح نجما لامعا في سماء الصحافة في فترة من الفترات .

ومن بعد خاصم العميد ، والوزير ، والحكومة ، ولكنه كان في كل ذلك وكأنما نزع الله من نفسه أي اعتبار لرغب الحياة أو رهبها .

قصة

هذه فعلا قصة .. ونشرت على أنها قصة العدد بمجلة الصحــة المدرسية بالكويت في عدد شهر مارس ١٩٦٠ . نشرت القصة بعنوان « زميل » .. ولم تذكر القصة اسم الزميل .. ولكن الزميــــل كان هو الدكتور محمد السعيد النجار .. ولم يكن من المناسب آنذاك أن أعرب عن اسمه وان كان الجميع بطبيعة الحال قد ادركوا ذلــــك . والقصة واقعية ، رأيت وأنا اراجع ما اتسق عندي من حياة سعيد النجار أن أعيد نشرها كما هي في هذا الكتاب .. واليكم النص ..

« عرفته أول ما عرفته أيام كنا طلبة في كلية الطب ، لم أكن زميلا له، بل كان يسبقني ببضع سنوات . ولم يكن من خطباء المحافل ولا كان من أبطال الرياضة . وانما لفت نظري اليه وميزه عندي وعند غيري صفة من اظهر صفاته ، هي التفاني في خدمة الغير .

كنت لا القاه في المستشفى الا وهو ممسك بذراع مريض فقير يسعى به الى الطبيب ويوصيه به خيرا . وظننت أول الامر كما ظن غيري ان هؤلاء المرضى لا بد ان يكونوا من أبناء قريته ، يقصدون ابن قريتهم طالب الطب ليسلك بهم الابواب الى العلاج ، وطالب الطب دائما تحيط به هالة في نظر اهله تخيل له ولهم أنه من اقطاب المهنة ، وانه يسعى في المستشفى بسلطان مبين .

هكذا كنا نعرفه ونتحدث عنه ونحن على مبعدة منه . واسرف بعضنا في القول فظن أنه لا بد يستأدي من الناس على هذه الخدمات اجرا . والا فما باله يضيع وقته الثمين على قاصديه غير ضنين .

وقربت بيننا الظروف حتى رأيته عن كثب . وازددت به معرفة ، حتى لكأنني عثرت فيه على كتاب كانت مطوية عني صفحاته ، فاذا بي

اقرؤه وأوغل في قراءته سطرا سطرا ، وكلما ازددت به معرفة ازددت له حبا ، وشهدت في قلبه ذخائر من الرحمة والمحبة والحنان ومثلا لما ينبغي أن يكون عليه الطبيب الانسان .

وسألته عن هذا المعين الذي لا ينضب من المرضى الفقراء .. فعلمت أن زميلنا لا تربطه بهم صلة ولا معرفة ، ولكنه كان كلما وجد في المستشفى عاجزا يؤوده أن ينهض ، أو ضالا لا يجد الطريق أو ضعيفا حيل بينه وبين الطبيب ، أو مغتربا لا أهل له ، توقف ركبه ليعين اخاه في الانسانية وليؤدي حق الله عليه في الفقراء والضعفاء ، فان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

ذكرته بحق الدراسة عليه ، ودراسة الطب لا تكاد تترك للطالب وقت فراغ . فأجابني بأن العلم لن تطير كتبه ، ولن يغيض معينه .. أما الذي لا يصبر عليه فهو أن يرى انسانا في وسعه ان يعينه فينصرف عن معونته . قال لي سأستذكر وأتعلم وانجح واتخرج كالآلاف الذين سبقونا والذين نسبقهم .. ولكن الازمة الحقيقية هي في القلوب والنفوس والمشاعر ، ودور هذا عندي قبل الكتاب وقبل التعلم ، وما اضيع بكالوريوس الطب ان لم يرتكز على نفس عامرة بالمحبة ، وقلب يملأه اليقين بأن مهمة الطبيب ان يخدم مرضاه قبل أن يخدم نفسه ! وصارحته بما يظنه الناس به ويتقولونه عليه . فقال يغفر الله لهم . ولو قصدت وجه الناس لهزني رأيهم . انني لا اعامل الناس ولكنني اعامل الله في الناس . فاعذرني ان أشحت ببصري عنهم ورفعت وجهي الى وجهه . ومرت الايام فنجح صديقي ، وتخرج طبيبا فكان نعم الطبيب . ثم تخرجت أنا أيضا . وأسعدني بعد سنوات ان نلتقي في العاصمة وان كان كل منا في مستشفى . وآمنت بما آمن به صديقي . فلقد تبين لي أن هذه المهنة لا توسط فيها . فالطبيب اما أن يكون قديسا واما ان يكون شيطانا ! الطبيب — كل طبيب — اما أن يعيش ليعطي فلا ينفد له عطاء واما ان يعيش ليأخذ فلا يشبع له نهم !! ولم يزل صديقي كما عرفته لاول مرة . المخلصون يكبرونه ويعتزون به ويهتدون بهديه ، والطائفة الاخرى يضيق صدرها بسيرته وتتقول عليه بعض الاقاويل .

وتزوج صديقي بفتاة ذات خلق متين وأصل كريم . وعقب زواجه بأيام ذهبا لدعوة غداء في بيت خاله اقامها تكريما واحتفاء بالعروسين الجديدين . ورن جرس التلفون ، فاذا بمستشفاه يستدعيه على عجل

لمريض مصاب نازف . وهرول اخونا الى المستشفى واحس بجانب المريض أنه في جانب والموت في جانب اخر ، كل منهما يود أن يكون المريض من نصيبه . وفيما بين نقل الدم واجراء الجراحة ثم نقل الدم مرة ثانية واعطاء الابر والادوية استرد المريض انفاسه ، واجتاز بحر الخطر الى بر الامان .. وفي كل هذه المعركة وبكل لحظة فيها نسي الطبيب نفسه تماما فلم يحس بنفسه من جديد الا والليل يكاد ينتصف .

وهرول زميلي الى بيت خاله يطير به الشوق الى عروسه التي تركها من ساعات طوال ، وتسرع به اللهفة الى ان يشركها في سعادته بأنه انقذ نفسا من براثن الموت .

وأنبأوه انها ذهبت منذ العصر الى بيتهما . فهرول الى هناك بشوق مضاعف ، ولقي زوجته متهللا ، ولاقته زوجته فما كان أقساه من لقاء .. عينان حمراوان متورمتان ومدمع هتان على وجه جثم عليه الحزن والغضب وبكاء مر ظنه لفقد عزيز فكاد قلبه ينخلع اذ مر به هذا الخاطر !! كانت ليلة لا ينساها .. وكان حوارا عجبا . ولم يدخر وسعا في اقناعها بأنه طبيب لا يملك وقته ولا يجوز له ان يتخلف عن نداء الواجب . ولم تدخر وسعا في الاعتراض والاحتجاج على هذا الاهمال الذي لا يغتفر والمهانة التي لا تحتمل .

وتوالت السنون . وما كان الجرح ليندمل وانما كان ينتكيء كل يوم تقريبا .. اذ كان الرجل يؤخذ من بيته في طائفة من الاوقات والظروف كفيلة بأن تفسد المتعة والنزهة والزيارات والمواعيد الضرورية ، وعاشت على غير استقرار لا تملك أن ترتب من وقت زوجها ، وما كان سكوتها عن ذلك رضا واختيارا ، وانما سكوت المغلوب على أمره ، الذي لا حيلة له فيما كتب عليه ..

وأنجبا ابنهما الاول .. ثم الثاني .. ثم الثالث .. وشغلت بالاولاد شغلا كبيرا ولكنها لم تتحرر أبدا من هذه العقدة النفسية ، التي تصور لها انها من دون الزوجات مظلومة هضيمة الحقوق !

ووافى رمضان ذات عام ، وبلغ ابنهما الصغير يومه الاربعين من عمره صبيحة يوم العيد . وذهب الوالد للصلاة وظلت الاسرة في انتظاره في أحسن زي وأوفى زينة ليذهبوا من فورهم الى البيت الكبير حيث تلتقي

الاسرة كلها شيبا وشبابا ورجالا ونساء واطفالا فتكون للقاء فرحة تضاعف من فرح العيد وبهجته .

وفي غمرة من المحبة والسرور وحسن النية شاء الطفل الكبير أن يجامل أخاه الوليد ذا الاربعين يوما ، فألقمه حبة من حب اللب الذي كان يتسلى بأكله .. فعل ذلك في غفلة من الام التي لم تلحظ الا وصغيرها قد ازرق لونه وحال أديمه وبهرت أنفاسه .. فأخذ الهلع بتلابيبها مأخــذا يقوى على التعبير ويشل التفكير .. وعــــاد الزميل لبيته ليجابه هذه المفاجأة !

وضع اصبعه في فم ابنه باحثا ، وهناك في اعماق حلقه احس بالجسم الغريب ، ولكنه لم يشعر انه متمكن منه ، وخشى في محاولة اخراجه ان تنزلق الحبة الى الداخل فتسد الفرجة الباقية من مسالك الهواء فيكــون بذلك قد قتل ابنه بيده .

أمسك الطفل من رجليه وجعل رأسه الى أسفل حتى تنزلق البذرة للخارج لا للداخل ان سعل الطفل او قاء . وأمر زوجته ان تتلفن لزميله اختصاصي الانف والاذن والحنجرة . وهرولت الزوجة الى التلفون وفيما كانت تدير القرص بالرقم قفزت الى ذهنها معان كانت تطرق فكرها لاول مرة !! وأجاب الطبيب بأن يلتقوا في المستشفى في الحال .. واستقلوا سيارة والطفل في ايديهم بين اليأس والرجاء ولكنها في هذا الموقف الحرج لا تتمالك الا أن تذكر انها استدعت زميل زوجها فاذا هو يلبي صبح يوم العيد ، ولعله هو الآخر ترك زوجته وضحى بنزهة او زيــــارة في سبيل الواجب . والتقوا في المستشفى .. وانقذ الطفل من خطر محقق .

وآبا الى البيت يغمرهما الفرح ويحمدان الله . وهمست الزوجة في أذن زوجها لست فرحة بشفاء ابني فحسب بل بشفائي أنا الاخرى : الآن قدرت رسالة الطبيب وسيسعدني من اليوم ان أكون معك لا عليك في هذا الميدان المقدس .... » .

الى هنا وتنتهي القصة كما نشرت .. وقد سمعت تعليق السيدة عليها فلم تكن الا تعديلات طفيفة لا تخرجها عن السياق العام .. اما الزميل اختصاصي الانف والاذن والحنجرة فهو الاستاذ الدكتور ابراهيم مسلم أستاذ الانف والاذن بجامعة عين شمس اطال الله بقاءه وجزاه خيرا ..

واما السيدة فقد عاشت معه حياته فأثبتت اصالتها وصلابتها ونفاسة معدنها ، فكانت القلب المحرك لهذا البيت الذي لم يكد يخلو من الضيوف افواجا او افرادا ، وكانت نعم الراعية للاولاد مواليد وتلاميذ وشبابا ، وكانت لهذا الرجل المؤمن النبيل نعم السكن ونعم السكينة .

على أنني لا اجد للسيدة عذرها في أن تفاجأ بما فوجئت به يوم الغداء عند خاله الذي تحدثت عنه القصة ..

لقد كانت لديها بالفعل لمحة سابقة عن زوجها ايام خطبها ووافى يوم قياس خواتم الخطوبة ، ولكن الخطيب كان بجوار مصاب في مستشفى الهلال الاحمر ، وتأخر عن موعده فأرسلوا في طلبه ، ولكنه لم يطمئن الى أن يغادر مريضه فاكتفى بارسال حلقة من الخيط بمقياس اصبعه ليشتروا له على قياسها دبلة الخطوبة ..

البيت

كان بيت الدكتور سعيد النجار — وأعني كل بيت سكنه — بيتا فريدا عن البيوت .. وان تميز عنها جميعا بأنه البيت الذي يسكنه سعيد النجار ...

دائما تدخل بيته فتطالعك المعاني التي تشغلك عن أن تفكر ان كان هذا البيت حديثا أو قديما ، فخما أو متواضعا ، واسعا أو ضيقا ، جميل التأثيث أو غير ذلك ..

كنت حقيقة تشغل عن التفكير في كل ذلك ، ويلتفت نظرك في الحال الى ان هذا هو البيت العامر على الدوام بأصحاب الحاجات لقضاء حوائجهم ، وكأنما اضفى الرجل شخصيته على المبنى .. فصار بيتا من المعاني لا من المباني .

حدثني واحد من اخواننا المدرسين أنه احتاج لخدمات الدكتور سعيد رحمه الله في حاجة فاتصل بالبيت بالتلفون ، ورد عليه أشرف وكان طفلا صغيرا (الدكتور أشرف الان) .. فلما قال الرجل انه يريد أن يلقى الدكتور سعيد أجابه أشرف في براءة « بابا تلحقه بعد نص الليل او قبل ستة صباحا » .

ومصداق ذلك حدثني به زميل طبيب كانت له حاجة في وزارة التربية .. وطلب موعدا من الدكتور سعيد فرجاه ان يلقاه في بيته في السادسة صباحا .. وذهب الزميل ليجد غرفة الاستقبال مكتظة بالناس فكأنها عيادة طبية مزدحمة .. وجاء الدكتور سعيد وسلم على الجميع هاشا باشا مرحبا .. وتهامس مع كل واحد في حاجته فهذا يأخذ منه اوراقا وذاك يعطيه أوراقا وآخر يعطيه موعدا .. حتى بقيت جماعة واحدة عدا الزميل الطبيب . وقال الدكتور سعيد للطبيب : انني سأذهب مع هؤلاء الناس

ثم القاك الساعة كذا على باب وزارة التربية .. ولكن ارجو ان تكرمت أن تأخذ ابنتي الصغيرة الى مدرستها لان سيارتي الآن تحت التصليح ..

وعلى ذكر سيارة الدكتور سعيد فلقد كانت سيارة مجاهدة .. الذين رأوها يذكرون ما كان يملؤها من مصالح الناس أوراقا وأمانات ووصفات طبية وأدوية كلها يسلك بها سعيد مسالكها .. ولقد كانت السيارة تعاني ما يعاني صاحبها من الاجهاد فتخلد الى التصليح أوقاتا كان يعجزه هو أن يخلد فيها الى الراحة .

واشتهرت سيارة الدكتور سعيد بأنها كانت دائما في الخدمة .. من فرط ما سعت في مصالح الناس .. كان يكفي أن يرى انسانا يسعى على قدميه في شمس الكويت المحرقة ليقف له ويأخذه الى حيث يجب فاذا أسفر الحديث العابر عن أن للرجل مشكلة أدخلها سعيد النجار في سجل واجباته حتى يجد لها الحل .. حتى لقد تندر الناس بأن سيارة الدكتور سعيد النجار ستدخل الجنة .

وفي الفترات الطويلة التي كانت سيارته تخذله فيها لم يكن ذلك عائقا له .. كان المحتاجون له يحملونه في سياراتهم من مكان الى مكان .. أو كان يستعير سيارة صديق ..

ولقد طالعت ملفه بوزارة الصحة ، فوجدت فيه رسالة منه لمدير عام الصحة كتب فيها « استعملت سيارة حكومية من كراج دائرة الصحة ابتداء من ١٩٦١/٤/٢٧ ظهرا وأعدتها بتاريخ ١٩٦١/٥/٣٠ مساء وذلك لعطل سيارتي الخاصة — أرجو التفضل بخصم بدل الانتقال عن المدة المذكورة من المخصصات الممنوحة لي .. وتفضلوا .. .. »

وأكاد أجزم أن الذي أعاره السيارة أعاره اياها حبا وكرامة .. ولكنه لا قبل أن يستمر في تقاضي علاوة الانتقال التي تعطى كجزء من الراتب ولا انتظر أن يكون التبليغ من مدير الكراج .. وانما أروي هذه القصة للتدليل على مصاعبه المزمنة مع سيارته .

ولقد حدث في سنة ١٩٦٧ أن أقنع بعض الاصدقاء الدكتور سعيد بأن يشترك معهم في جمعية يدفع الفرد منهم مائة دينار كل شهر ويأخذ المبلغ المجموع شهريا واحد منهم وهكذا حتى يدور الدور على الجميع . كان عددهم ستة واتفقوا على أن يبدأوا بالدكتور سعيد فيأخذ الستمائة

دينار بقصد شراء سيارة .. وفعلا أخذ الدكتور سعيد الستمائة دينار .. وما وافى آخر الشهر حتى كان المرتب والستمائة دينار قد نفدت جميعـا ولا أثر للسيارة .. لم يكن يستطيع أن يمسك يده عن محتاج وكان ذلـك كفيلا بألا يتجمع لديه أي رصيد من المال .. ..

حدث أيضا أن اتفقت معه السيدة زوجته على الشروع في شراء فيلا في مصر .. يدفع عربونا ويفي بالباقي على أقساط .. وهي تجتهد في الادخار ومع ذلك تراه يعطي الناس حتى ظنت أنه لا بد يدخر مبلغا مـن المال فأرادت أن تطمئن على ذلك .. ولكنه في بساطته قال لها عن النقود

« أبدا .. أنا مش شايلهم الا عند ربنا .. »

ونستطرد في حديث السيارة .. فأذكر طريفة اخرى ..

لنا زميل في قسم الجراحة اسمه الدكتور اسماعيل سلام كان يعمل في انجلترا وحضر حديثا الى الكويت .. كنا نتحدث فسألني ان كنت أعرف طبيبا اسمه سعيد النجار .. قلت نعم فهل عرفته أنت ؟ قال لا .. ولكنني كنت أمس في سيارتي فوجدت على الطريق رجلا يسير في الشمس الساخنة فوقفت له وأركبته معي .. وما كاد الرجل يستقر في مجلسه بجواري حتى راح يردد : الله يرحمك يا دكتور سعيد يا نجار ! .. الله يرحمك يا دكتور سعيد يا نجار !! ومنه عرفت عن سعيد النجار فعرفت انه وسيارتـه كانا دائما في خدمة المسكين وابن السبيل والسائلين وغير السائلين .

كان رحمه الله في المطار في انتظار زوجته القادمـة من الحج .. ووصل الركاب ووجد كل منهم في استقباله زمـرة من أصدقائه مرحبين مهللين .. ولمح رجلا يحمل خرجا كبيرا لم يكن في استقباله أحد ، وخرج فلم يستأجر سيارة تاكسي .. وانما شرع في السير .. وفي عجالة أوصى سعيد قريبا له بانتظار السيدة وهرول فأخذ الرجل في سيارتـه وأبلغه منزله .. ولم تحضر السيدة في تلك الطائرة ذلك اليوم .. وربح سعيد الاجر والثواب !

ونعود لذكر البيت ..

البيت محافظ جدا ومستور جدا رغم تلك الوفود التي كانت دائمـا فيه معه أو في انتظاره ..

القليلون القليلون من كان يتاح لهم أن يلقوا السيدة والاولاد والبنات .. أما جماهير القاصدين فربما لم يخطر ببالهم أن بالمكان أسرة كبيرة في الجهة الاخرى من الابواب .. من فرط ما كان الاستقبال أشبه بمكتب المحامي أو المصلحة الحكومية أو عيادة الطبيب ..

وفي هذا النمط من الحياة الذي اختطه سعيد النجار لم يكن يجد الوقت الكافي للجلوس مع أولاده ولا للاشراف على دراستهم .. ومع ذلك فقد كانوا من الاوائل في الدراسة وكذلك من الاوائل في المباريات الرياضية ومسابقات السباحة . وكان بذلك سعيدا !

ولم يكن انشغاله عنهم يعني تقصيره في تربيتهم .. وانما كانت أمامهم أولا تلك القدوة العظيمة .. ثم بعدها الكلمة التي تغني عن المقال والاشارة التي تغني عن العبارة .. حدثني أشرف قال لم يقل لي استذكر الا مرة واحدة .. ولم يضربني الا مرة واحدة ، كنت مهتما بجمع طوابع البريد وخرجت التمس طابعا عند صديق وتأخرت في العودة ليلا حتى تولاهم القلق .. فكانت العلقة اليتيمة ..

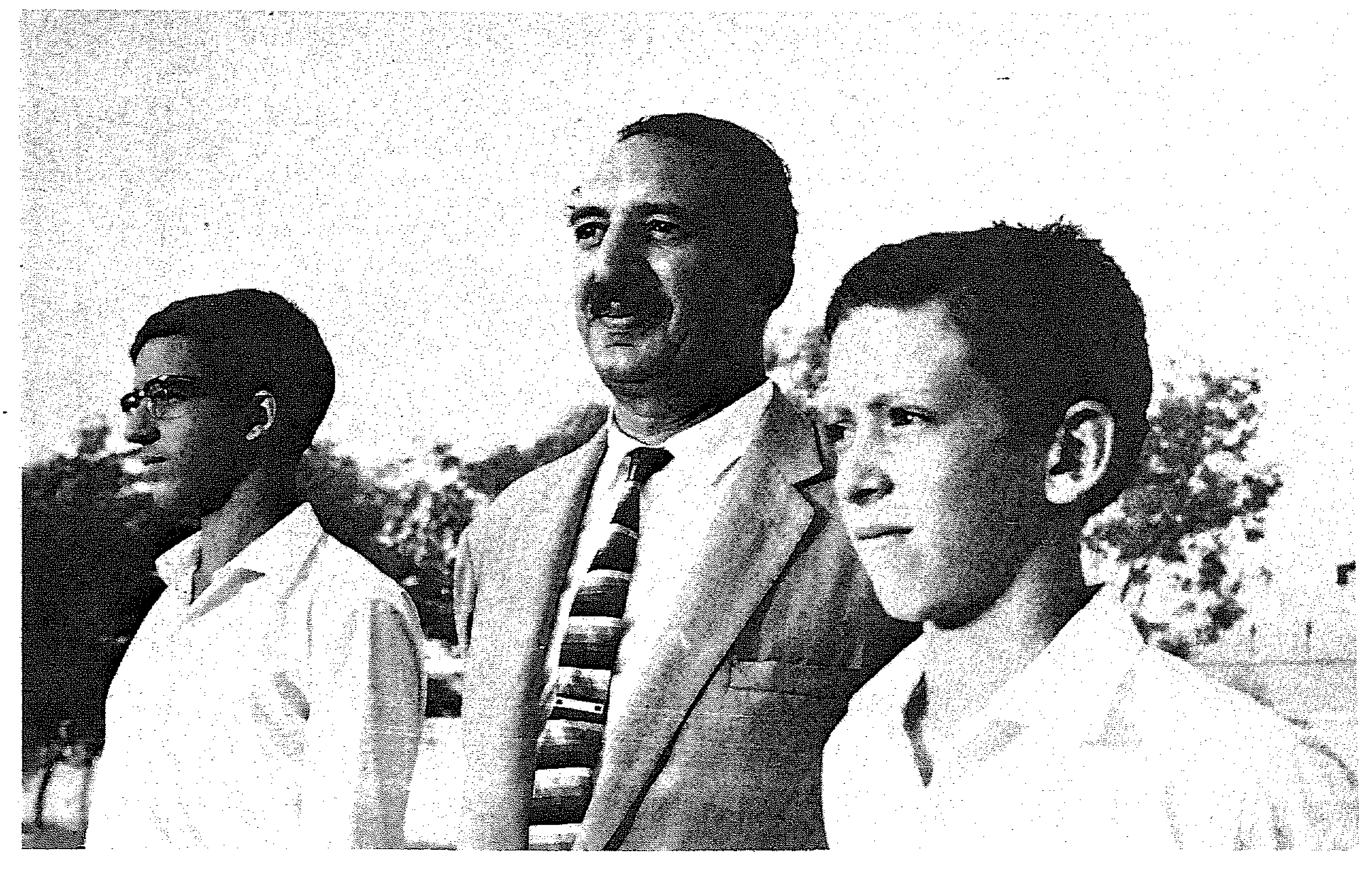
وتقول الاسرة انه رغم سرفه في العطاء (ولا سرف في خير) لدرجة تقرب من الخيال ، فان البيت كان دائما مستورا ولم يمر عليهم ابدا يوم أحسوا فيه أنهم محرومون أو أنهم يريدون فلا يجدون ! لان الله كان يبارك فيما يبقى لهم من قليل .. فلم يعرفوا الحاجة أبدا .

لما مات وجدوا في أوراقه أكداسا من كعوب الشيكات لا تنبيء كيف صرفت ولا كم ولا لمن ..

ويعلمون أنه كان يجري حصصا شهرية في مصر وفي الكويت على كثيرين أقلهم الاقارب أو المعارف وأكثرهم لم تربطه بهم صلة الا أن يعلم أن القدر أصابهم في الرزق أو في القدرة عليه .. بل الاعجب من هذا أنه كان يسدد لبعض الناس أقساط السيارة وهو بلا سيارة ..

وما أكثر ما دفع من كفالات وغرامات في المطار لمواطنين تأخروا عن الموعد القانوني لمغادرة البلاد .. ولم يكن يعرفهم ولكنه كان يؤم المطار كثيرا جدا ولا يستطيع أن يتخلى عنهم !

كانت النجدة والايثار في دمه .. وقد سافر سعيد النجار الى العراق أربع مرات .. اثنتين منها لتخليص سيارتي زميلين والحضور بهما الى الكويت .



ابو الاشبال : مع افضـــل وايمـــن

ولم يكن انشغاله عن أسرته يعني أنه في حاله والاسرة في حالها ! لا ! فقد اشتملت نشاطاته كذلك على تقديم الطعام كذلك لكل وافد جديد بعرفه من الزملاء الاطباء أو الموظفين ..

وكان له أسلوب فريد في الوليمة للموظف القادم الجديد .. فبدلا من أن يعزمه على الغداء يعد الغداء في بيته ثم يحمله بسيارته في أوانيه الى بيت الصديق .. فبدلا من أن يستفيد القادم الجديد بوجبة واحدة تظل الوليمة عنده يقتات عليها أياما وأياما.كان على السيدة اذن أن تدير البيت على نطاق الاسرة ثم على نطاق العلاقات الخارجية التي لم تكن دائما منتظمة أو مسبوقة بفترة اعذار مقبولة .

ذهب رحمه الله الى المطار ذات مرة كعادته لتوصيل ناس مسافرين .. وفي الساعة السادسة صباحا أحس أشرف بطرق على شباك غرفته .. وأطل اشرف من الشباك فاذا والده يهمس له : افتح البـــاب .. ولكن أشرف يرى وهو مذهول أكداسا من الحقائب ومظاهرة من حوالي ثلاثين شابا ..

لقد وصل فريق رياضي من جامعة عين شمس .. ولم يجدوا في المطار احدا من الرسميين المكلفين باستقبالهم .. فما كان من الدكتور سعيد الا ان استأجر أتوبيسا حملهم وشاحنة لحمل حقائبهم وعاد بهم الى منزلـه في ذاك الصباح الباكر ...

وتلت ذلك فترة نشيطة في اعداد الشاي وشراء طعمية لعمل السندويتشات وتمت مراسم الضيافة حتى نضج النهار فأجرى اتصالاته بالوزارة وجاءت رسل الضيافة الرسمية .

وليس ذلك فحسب !

لم يكن هذا البيت يساهم في عون الافراد فقط .. بل انـه تصدى لمعونة السفارة المصرية لما طلبت منه ذلك في عدد من المرات .. ورغم أن السفارة في الستينات كانت تشعر بشيء من القلق تجاه آرائه السياسية، ورغم ان القنصل استدعاه مرة لسؤاله ومناقشته عن ذلك ، فقد طلبت منه القنصلية عددا من المرات أن يؤوي في بيته احدى المصريات ريثما يتم تسفيرها لمصر .. وأعرف من هذه المرات أربع على الاقل .. واحدة ظلت في بيته اسبوعا ، وواحدة تزوجت في مصر من أوهمها أنه من أعيان البلاد

واتضح أنه فراش ومكثت عنده وديعة من السفارة اسبوعين ، وثالثة لم يمكن ايواؤها في السفارة وظلت شهرين ، ورابعة تولى هو تسفيرها .

كان هذا منهاج البيت منذ وصل بالزوجة وخمسة من الاولاد الى مسكن مخيم الشويخ في ٥ نوفمبر ١٩٥٧ ثم منزل السالمية في ١٧ منه ثم الفيللا بمنطقة الشرق ثم الشقة الاخيرة قرب الهلتون . .

ولما غادر فيلا الشرق لم يفته أن يعطي مفتاحا لها لاسرة فقيرة كانت تسكن الملحق وذلك حتى تستفيد من تكييف الهواء ساعة قيلولة الظهيرة خلال فترة اصلاح الفيللا . .

ورغم كل هذا العطاء فقد درج ابناؤه على عزة النفس والا ياخذوا من أحد شيئا . أثناء زيارة لي مع الصغيرة غادة وكانت في الثالثة من عمرها جهدت جهدا شديدا حتى أقنعتها وحتى اقنعها معي بقبول لعبة صغيرة وكانت تتلطف في رفضها بأعذار وتعلات واسلوب يفوق سنها كثيرا . .

ودفعني هذا الموقف أن أجري معه حديثا اقول له فيه ان الآجال محدودة وان على كل منا وان كان يربي أبناءه على الاباء والعزة أن يستثني لهم من الناس عددا محدودا جدا يسميهم لهم ويصرح لهم ان يعاملوهم معاملتهم لوالدهم بلا تحرج أو تكليف . . وقلت لا افرض نفسي عليك في هذا المقام ولكن رجوته أن يأخذ بالفكرة . . فوعد بأن يأخذ بها وأن يحصيني من بينهم .

تلك لمحة عن هذا البيت الكريم . نحيي بها السيدة الكريمة التي قامت بعبء الجبهة الداخلية في أثناء كل هذا الجهاد الطويل . . وللقارىء أن يتصور مدى هذا الجهد . . ولقد مرت فترات عصيبة . . فذات مرة مثلا ظهر التهاب الغدة النكفية على أشرف في المساء ، ثم على رندة في اليوم الثاني ثم على أماني والفت في اليوم الثالث ثم على اكرم في اليوم الرابع ثم على عبير وأيمن بعد اسبوعين ، أما أفضل فكان قد أخذها في السابق ولم تكن غادة قد ولدت بعد .

كل هذا والنشاط هو النشاط لا يتوقف ولا يتمهل . .

وفي الظروف القليلة التي كانت تسنح لخروج السيدة بصحبته في زيارة أو مصلحة كانت تؤدي خدمة اخرى . . لقد كانت بين الفينة والفينة

تمد يدها فتدق نفير السيارة حتى يصحو زوجها من اغفاءة وهـــو يقود السيارة يقاهره عليها التعب والاجهاد ..

ومن اللطائف الظريفة أن الدكتور سعيد مرة كان يقود سيارته ليلا عائدا من عيادة مريض .. ولحظ الشرطي أن السيارة تترنح يمنة ويسرة فظن أن قائدها سكران ولم يدر أنه النعاس .. وأخذه الى المخفر فما كاد الضابط النوبتجي يراه حتى قام فعانقه وقال للشرطي كل الناس الا هذا ..

وكنا نراجعه رحمه الله في هذا فيدافع عن نفسه قائلا ان الله زودني بموهبة هي أنه ما يكاد رأس يسقط من النعاس حتى تمتد قدمي بحركـــة لا شعورية الى الفرامل تضغطها فتوقف السيارة .

ولولا ستر الله لكان له نصيب في أكثر من حادثي السيارة اللذين وقعا له ، مرة حين ارتطم بحائط وأصيب بجرح في جبهته ومرة حينما كان يرجع القهقرى بالسيارة فانزلقت به على حرف البحر ولكنه لم يصب بسوء.

رسالة

كان من قسمة الله أن تنتظر هذه الرسالة حتى يؤديها عنه هـذا الكتاب .. ولا نعتقد أن الرسالة فات أوانها ، بل لعلها تلقى مزيدا من الاهتمام وقد رحل كاتبها عن دنيانا الى جوار ربه .. والعجيب أنه كتبها وهو على فراش المرض قبل رحيله بأشهر قليلة ..

ونستخلص من الرسالة درسين .. الاول موضوع الرسالة وهـو مقترحات مستنيرة بالنسبة لجزيرة فيلكا .. والثاني هو أن هذا الرجـل حتى وهو طريح الفراش في قبضة المرض لم يكن يفكر في حدود نفسه أو صحته ولكنه كان مليء القلب بالحرص على صالح المجتمع الذي يعيش فيه ودعوة المسئولين الى العمل له والتقدم بأفكاره اليهم في هذا الشأن ..

والرسالة موجهة الى معالي الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح .. وقد كتبها ثم بيضها ولكن لم يتح له أن يبعث بها نظرا لتطور حالتـه الصحية ، حتى عثرنا عليها بين أوراقه . وننشرها هنا بخط يده ولكـن ننشرها مطبوعة أيضا لتكون سهلة المتناول للقارىء ..

وها هي ذه : —

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح الموقر

بعد التحية والاحترام

لقد أسعدني جدا أن أسمع أن مجلس الوزراء مهتم جدا بفيلكا وأنه كلف لجنة من مختلف الوزارات بدراسة أحوال الجزيرة لتحسين أحوالها . والواقع أنه عندما كنت في التثقيف الصحي تشرفت بزيارة الجزيرة عدة مرات ولاحظت أن هذه الجزيرة المهمة والتي تعطي الكويت مزيدا مـن

المياه كمياه اقليمية بها ثروة ــ أولا : أن أغلب آل الجــــزيرة موردهم الاساسي هو الاعانة من وزارة الشئون ــ ثانيا : أن الجزيرة التي كانـــت مزرعة الكويت قد اهملت فيها الزراعة ما عدا أماكن قليلة وتكاد تكـــون شخصية ــ ثالثا : ان المواصلات والخدمات العامة أقل مما يجب مـــع صعوبتها . رابعا : ان الغالبية تنزح الى الكويت لهذا ــ

ولما كان من الواجب أن يشعر آل الجزيرة بارتباطهم الشديد بالدولة أساسا مع تشجيع الاقامة بالجزيرة وزيادة كثافة السكان بها والاستفادة من الجزيرة من السياحة بها وتأكيد الدفاع الاولي عنها .. والواقع أنه لا مانع من اعانة الكثيرين منهم ليعيشوا عيشة مناسبة ولكن من يستطيع العمل يجب ان نهيىء له عملا ، أو تعليما وتدريبا ثم عملا ، على الاساس الصيني الذي يقول : ((من أعطيته سمكة أكل يوما ومن علمته الصيد أكل كل يوم)) .

ولهذا تكونت لجنة من وزارات الخدمات لاقتراح التحسينات اللازمة ولمعرفة مطالب أهل فيلكا .. ولا أعرف التفاصيل لان هذا كان بين سنة ١٩٦٠ وسنة ١٩٦٢ ، ولكنني أذكر أنه كان في اللجنة السيد / محمـــد ابلهان (وكان بالشئون الاجتماعية قبل انتقاله للجامعة) ، وكان السيد عبد الله السنان عن الاوقاف مع السيد / امام المسجد بفيلكا ، وكان السيد مأمور المخفر ــ او رئيس المخفر ــ (عن الداخلية) والسيد ناظر المدرسة (عن وزارة التربية) . وأذكر أن دراسات اللجنة كان أساسها :

١ ــ زيادة الخدمات العامة بالتوسع في المدارس وتكبـــير المستشفى ومراكز الخدمة الاجتماعية

٢ ــ تحسين المواصلات الداخلية بانواعها المختلفة والمواصلات الخارجية بين فيلكا والكويت بكل الوسائل وبالاخص الحديثة والآمنة (بحـــرا أو جوا)

٣ ــ العودة بفيلكا لتكون احدى المزارع الاساسية للكويت ، بزراعة ما يمكن زراعته بالطرق الحديثة (بآلات الزراعة الحديثة) واصلاح ما يمكن اصلاحه من الارض

٤ ــ الاستفادة من مياه الابار مع انشاء معمل تقطـــير للمياه وتوليد الكهرباء للاستفادة منه في وضع الجزيرة الجديد

٥ ــ عمل مصانع كبيرة (تتفق مع ما يوجد من مواد أولية بالجزيرة) وأعمال صناعية صغيرة وصناعات يدوية لرفع مستـــوى الجزيرة ومواردها بصفة عامة ولرفع مستوى دخل أهل الجزيرة والساكنين بهـــا

٦ ــ اقامة معسكرات الكشافة الدائمة وغيرها في فيلكا (للاستفـــادة المزدوجـــة)

٧ ــ انشاء نواد رياضية وثقافية واجتماعية (مثل حمامات سباحـــة ونوادي كرة وتجذيف وغيرها)

٨ ــ عمل فنادق سياحية وكازينوهـــات وسينما وأماكـــن لهو بريئة

وقد أثير في هذه النقطة أن أهل فيلكا متدينون ولا يريدون دخول مساوىء المدنية عندهم ومساوىء المؤسسات الترفيهية بالخروج علـــى التقاليد ، فأوقفت الفكرة الاخيرة .. ولكنني أقول ماذا لو كانت هـــذه المؤسسات تسودها الفضيلة ويؤكد هذا في تأسيسها فالنوادي مثلا تكون غير مختلطة ويكون المختلط فيها يدخلونها بالبطاقات أو الجوازات ليكون ثابتا أنها للاسر وليست لغير هذا .. مع شدة في تنفيذ هذه النظم . وبذلك يستفيد شباب المنطقة وشباب الكويت وتزداد السياحة اليها ويمتص هذا كثيرا من الاموال التي تذهب هدرا للخارج ونخلق من فيلكا أحد مصايف الكويت الرئيسية واحدى مناطق السياحة وبالاخص أن بها آثارا تاريخية ودينيـــة ..

وأخيرا الاستفادة من البحر حولها في الصيـــد وزيادة الثروة السمكية مع انشاء صناعات مرتبطة بهذا .

ولا اعرف في الواقع ما تم بعد ذلك فقد انقطعت صلتي بهـــــذا الموضوع بعد أن نقلت من التثقيف الصحي فأصبحت بعيـــدا عن تمثيـــل الصحة في هذا .. وأسعدني بعد أكثر من عشر سنوات أن يبدأ الاهتمام بهذا الموضوع ، بفضل السادة المسئولين في الدولة .

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح المحترم

تحية التقدير والاحترام،

لقد أسعدني جداً أن أسمع أن مجلس الوزراء قد اهتم جدياً بفيلكا
وأن كلف لجنة من مختلف الوزارات لدراسة أحوال الجزيرة لتحسين أحوالها
والواقع أنني عندما كنت في التثقيف العسكري تشرفت بزيارة الجزيرة لمرات
ولاحظت أن هذه الجزيرة الهامة والتي تعطي الكويت مزيداً من المياه الإقليمية
[illegible] — أولاً - أن أغلب أهل الجزيرة مورد رزقهم الأساسي هو الأعمال
[illegible] — ثانياً - أن الجزيرة التي كانت مزرعة الكويت قد أهملت فيها
الزراعة [illegible] إلا من قليلة وربما تكون شخصية. ثالثاً أن المواصلات والخدمات
العامة أقل مما يجب مع صعوبتها. رابعاً أن الغالبية تنزح للكويت، لهذا —
ولهذا كان من الواجب أن يشعر أهل الجزيرة بارتباطهم الشديد بالدولة أساساً
مع تشجيع الاهتمام بالجزيرة وزيادة سكانها [illegible] والاستفادة من الجزيرة من السياحة
[illegible] والواقع أن [illegible] من الكبار ليعيشوا عيشة هانئة ولكن
من يستطيع العمل يجب أن يهيأ له عملاً أو تعليماً وتدريباً ثم عملاً على الأساس الصيني
الذي يقول "من أعطيته سمكة أكل يوماً ومن علمته الصيد أكل كل يوم"

ولهذا تكونت لجنة من وزارات الخدمات لاقتراح التحسينات اللازمة
والمعروف مطالب ~~أهل الجزيرة~~ (أهل فيلكا) ولا أذكر التفاصيل لأن هذا كان
بين ١٩٦١ و ١٩٦٤ ولكنني أذكر أنه في [illegible] السيد [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من الأدوات مع السيد [illegible]
[illegible] (بعد [illegible]) [illegible] [illegible]
وأذكر ~~التقديرات~~ [illegible] كانت [illegible] اللجنة أساساً

١ - زيادة الخدمات العامة [illegible] [illegible] والتركيز
الاجتماعي - تحسين المواصلات الداخلية بأنواعها المختلفة والمواصلات
الخارجية (~~[illegible]~~ [illegible] والكويت)، بكل الوسائل والأجهزة الحديثة والآمنة (بحراً وجواً)

٢ - العودة [illegible] لتكون أحد المزارع الأساسية للكويت بزراعة
ما يمكن زراعته بالطرق الحديثة (بالآلات الزراعية الحديثة) وإصلاح [illegible] الأرض

٤ - الاستفادة من مياه الآبار مع ~~[illegible]~~ عمل تقطير المياه وتوليد الكهرباء
للاستفادة منه في وضع الجزيرة الجديد ٥ - عمل مصانع [illegible] [illegible] صغيرة
([illegible])

صناعات يدوية صغيرة لرفع مستوى الجزيرة ومواردها بشكل عام
والرفع بمستوى دخل أهل الجزيرة والسائحين في إقامة معسكرات الكشافة الزائرة [illegible]
في [illegible] (للاستفادة المزدوجة) [illegible] نوادي رياضية وثقافية و[illegible] (مسابح [illegible])
[illegible]) [illegible] فنادق سياحية وكازينوهات ... و[illegible]
[illegible] (وقد أكد [illegible] النفط أن أهل [illegible] [illegible]
وحول مبادرة المدينة [illegible] المؤسسات الترفيهية [illegible]
على التعاليم [illegible] الأخيرة ولكنني أقول ماذا لو كانت [illegible]
المؤسسات [illegible] التفصيلية [illegible] [illegible] والنوادي
[illegible] ويكون المنظر [illegible] بالطاقات [illegible]
تماما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] شباب المطعم و[illegible] الكويت وتزداد السياحة
[illegible] الأموال التي تذهب هدرًا للخارج
[illegible] إحدى مصايف الكويت الرئيسية وإحدى مناطق
السياحة [illegible] آثار تاريخية و[illegible]
وأخيرا الاستفادة من [illegible] في الصيد [illegible] الثروة المائية
مع إنشاء صناعات مرتبطة بهما
ولا أعرف في الواقع ماذا [illegible] [illegible]
[illegible] المسؤول بعد أن [illegible] الصغيرة فأصبحت بعيدًا عن
[illegible] [illegible] أكثر من عشر سنوات [illegible]
[illegible] بالإهمال [illegible] بأن [illegible]
[illegible] مراكز [illegible] الجزيرة للظروف التي لا [illegible]
والتي [illegible] أن تكون [illegible] حتى تصل القوة
الرئيسية للبلاد وأن [illegible] في هذه الدولة [illegible]
وأصبحت [illegible] تماما [illegible] التوفيق التام
[illegible] [illegible] والله
وتفضلوا بقبول فائق احترامي
[illegible]
[illegible]/٦/٢

هذا وقد نسيت أن ازيد على السابق الاهتمام بزيادة السكان وبازدياد مراكز الدفاع عن الجزيرة للظروف التي لا يعلمها الا الله والتي تستوجب أن يكون أي مكان في الدولة له دفاعه حتى تصله القوة الرئيسية للبلاد ٠ وأني كرجل عاش في هذه الدولة خمسة عشر عاما وأحسست أنها كبلدي تماما أرجو اللجنة الجديدة أن توفق التوفيق التام فيما يعود على دولة الكويت بما فيها جزرها بالفائدة والازدهار ٠

وفقكم الله ٠ وتفضلوا بقبول فائق احترامي ٠

دكتور سعيد النجار

٧٢/٦/١

هو والسياسة

سنحاول في هذا الباب ان نلقي اضواء وافيـــة عن وجهة نظره السياسية في مراحل حياته المختلفة ، وان كنا نصارح أننا سنضرب صفحا عن كثير من التفاصيل في المرحلة الاخيرة ، خشية أن نذيع شيئا مما ائتمنا عليه بقصد عدم الاذاعة ، أو ننشر انباء ما زال أصحابها بيننا وقد يفضلون ألا تنشر عنهم ، وقد اتيح لي أن اسمع الكثير من الدكتور سعيد رحمـــه الله ، ولكن كثيرا مما سمعت درجت اليه يد النسيان بالمحو ، والبعض مستور بحرمة المجلس والمجالس بالامانة .

نشأنا ومصر ما زالت متمردة الرسغين على قيود الاحتلال البريطاني الذي اصيبت به منذ عام ١٨٨٢ ، والذي أعلن في البداية أنه مؤقت لاقرار الامن والنظام ، وبذل على مدى الاعوام اكثر من سبعين وعدا رسميا بالجلاء عن مصر ، ولكن لا الوعود تحققت ولا الاحتلال المؤقت رحل ... وثارت مصر ثوراتها أولا بقيادة مصطفى كامل ومن خلفه في الجهاد مـــن أعضاء الحزب الوطني الذي أسسه وكان خليفته الاول في رئاسته المجاهد محمد فريد .. ثم بقيادة سعد زغلول الذي قاد الثورة الكبرى عام ١٩١٩ وأسس حزب الوفد الذي انشق عليه بعض اعضائه مكونين أحزابا أخرى سواء في عهد سعد أو في عهد خليفته مصطفى النحاس .

وشهد آباؤنا واشتركوا في ثورة ١٩١٩ ، وشهدنا واشتركنا في ثورة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ وما تلاها من الغاء الامتيازات الاجنبية والوصول مـــع بريطانيا الى ما يسمى بمعاهدة الشرف والاستقلال عن طريق مفاوضـــة جامعة رئسها مصطفى النحاس .. تلك المعاهدة التي استنفدت أغراضها المرحلية وتبين أن بريطانيا كانت لا تقصد بها الا مجرد تهدئة الخواطر في مصر وتسخير مواردها لتكون في خدمة قواتها في الحرب العالمية الثانية ،

دون أن تكون صادقة في السعي بمصر الى الاستقلال الكامل .. وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي بانتصار الحلفاء وبتطلع الشعوب الى عهد من الحرية والنور لا استغلال فيه ولا استعمار ، حتى هبت مصر من جديد تطالب باستقلالها ، أما معاهدة ١٩٣٦ فقد الغتها مصر على يد مصطفى النحاس كذلك .

وخلال الممارسة السياسية الطويلة تكون لدى مصر — وعمودها الفقري السياسي آنذاك شبابها من طلاب الجامعات وخريجيها — وعي سياسي يتبلور في عدد من النقاط التي لم يكن بد من أخذها جميعا في الاعتبار عند التصدي لحل المعادلة السياسية الصعبة . وهذه النقاط بايجاز هي :

● أولا تقديس للحريات والاوضاع الدستورية وسيادة القانون وأن الامة مصدر السلطات . وكان هذا من معالم الجهاد الاولى في مصر .. حتى من قبل سعد ومصطفى كامل .. لقد كان في مصر جمعية تشريعية أسقطت وزارة نوبار باشا الذي عينه الخديوي واقامت وزارة شريف باشا .. حتى في الزمن الذي كان الخديوي فيه يدعى ولي النعم ويجاهر فيه بأن مصر ومن عليها ملك له ورثه عن آبائه . ومن يومها ظل الجهاد من أجل الحريات في مصر جهادا موصولا ودائما حتى في ظل الاحتلال وما نشأ معه من حكومات أقلية ذات طابع دكتاتوري .. لان مصر ادركت أن الاستقلال الخارجي انما هو ثمرة الحرية في الداخل .

● ثانيا : ان حكم الاسرة العلوية في مصر اختار الا تكون دعامته دعامة شعبية .. وأساء الظن تلقائيا بالتحرك الشعبي نحو الاستقلال والحرية، فكان طبيعيا أن يكون الاستعمار البريطاني هو السند الحقيقي للقصر .

● ثالثا : أن جبهة القصر « الاستعمار » استطاعت أن تستقطب عددا من الشخصيات الكبيرة ترى في نمو القوة الشعبية خطرا على ثرواتها الضخمة ونفوذها الواسع .. على اعتبار ان الشعب الحر القوي سيحرص على أن تنال صفوفه كلها الحد الادنى من الحقوق الانسانية الاساسية وهو ما كان يعني بالضرورة تنازلات من كبار الملاك قد لا تجعل منهم فقراء ولكنها قطعا سترخي قبضتهم على الفلاحين من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية .. فلقد كانت الراسمالية المصرية عامة راسمالية انانية بل متعصبة ، ولو كانت راسمالية واعية ومخلصة وبعيدة

النظر لوفرت على نفسها وعلى مصر وشعبها أشواطا كبيرة من الجهـــاد .

● رابعا : في فترة من الفترات ظن الناس أن الملك فاروق شاذ عن هذه القاعدة .. وفي أوائل عهده نال من الحب ما لم ينله أحد من سابقيه .. ولكنه تغير بمرور الايام فاذا بالملك الصالح والشاب النقي يجاوز الحدود سواء في نهمه اقتصاديا أو في انحرافه اخلاقيا أو في ممارسته لعبة السياسة على غير ما توسم الناس في أول عهده .

● خامسا : ظل الذين يضيقون ذرعا ببطء الجهاد الشعبي سواء كان أعزل أو مسلحا يفكرون في القوات المسلحة . ومـــن قبـــل كانت ثـــورة الجيش بقيادة عرابي تجسيدا لجهاد سياسي سابق .. لذلك التفت مصر حول ثورة عرابي ولكنها للاسف انكسرت فانكسر معها كل شيء وضاع كل شيء وتكرس الاحتلال البريطاني وراحت مصر تبدأ الطريق الطويـــل من جديد .. وعلى الرغم من أن الجيش كان بطبيعة الحال هو السيـــف الماضي الذي يصلته الملك على الشعب وعلى الحركات الشعبية ، فقـــد بقي هناك من يقول ان القوة اما شعبية أو عسكرية ، وشعبنا مقهور من جهة القوة المادية فلا بد أن يأتي التحرك من جهة الجيش . وفعلا : في الوقت الذي كان يغدق فاروق فيه على الجيش ويقول للضباط سأهديكـــم ابني ، كان هذا الجيش نفسه هو الوعـــاء الذي خرجت منـــه الضربة العسكرية المباشرة لفاروق وللحكم الملكي كله .

● سادسا : وظهر في مصر وعي جديد بحقائـــــق قديمة .. فالصدام بالاستعمار لم يكن يحمل في طياته ضرورة الصدام بالقصر فحسب ، وحرية مصر بين الامم لا تستتبع حريتها داخل بيتها فحسب .. بل تفتحت الاذهان الى ابعاد جديدة للاستعمار .. فلقد تبنت مصر القضية الفلسطينيـــــة وانغمست فيها وكانت نفس القضية من قبل ذلك بسنوات غير طوال تسمع عنها مصر وكأنها حدث بعيد في عالم بعيد .. ثم كانت الهـــزيمة العربية عام ١٩٤٨ وما تلاها من قضايا الاسلحة الفاسدة وما ذاع عن تورط القصر فيها .. وفتح الناس اعينهم الى الصلـــــة بين الصهيونية والاستعمار .. وانها اسفين مقصود به تفكيك أوصال العالم العربي .. وتذكر الناس كيف اتفق الاستعمار على اقتسام العالم العربي خلال الحرب العالمية الاولى حتى والعرب يساعدونهم في حربهم ، ثم ارتفعت الاصوات مذكرة بما قاله انذاك قائدا الحلفاء اللنبي وجورو عند قبر صلاح الدين :

احدهما قال عدنا يا صلاح الدين .. والآخر قال اليوم انتهت الحروب الصليبية .. وظهر بوضوح أن قضية مصر هي حلقة لا تنفصم عن حلقتين أخريين : القضية العربية .. والقضية الاسلامية .

هذه مقدمة لست أرى اوجز منها ولكنني لست أود أن تصرفني عن الكتاب وصاحبه .. فأنا هنا اكتب عن الدكتور سعيد النجار رحمه الله . وكان رحمه الله وطنيا مرهف الوطنية في كل مراحل حياته .. وكان مع التيار الوطني وقبض عليه مرة بين من قبض عليهم في تظاهرة طلابية . وعندما انهى دراسته الثانوية راودته نفسه ان يدخل الكلية الحربية ليساهم في خدمة مصر من خلال قواتها العسكرية .. بذلك صارح والده، ولكنه قلب الفكر ولم تكن ظواهر الحال آنذاك مطمئنة له على انه سيستطيع فعلا أن يخدم مصر كما يريد . فما لبث أن اختار كلية الطب ليكون في عون المرضى والمحتاجين من بني مصر ومن بني الانسان كافة .

تخرج رحمه الله قبلي بسنوات فلم ألقه على الصعيد السياسي الا أوائل عام ١٩٤٨ ، وكانت الثورة في فلسطين قد بدأت احتجاجا على قرار التقسيم ، وكان الثوار عربا من فلسطين ومتطوعين من البلاد العربية ، كان منهم من مصر بعض الضباط وفرق من متطوعي الاخوان المسلمين وعناصر من حزب مصر الفتاة .. وفي مجال دعم هذه الجهود بما تحتاج اليه من عتاد ومؤونة كان له رحمه الله نشاط كبير ، أتيح لي أن اشهد طرفا منه وأنا أتأهب للسفر لعلاج المتطوعين في ابريل ١٩٤٨ بعد تخرجي في كلية الطب بأشهر قليلة .

وانتهت مأساة ١٩٤٨ .. وكانت الهدنات المتفرقة مع الدول العربية في رودس ، ولم ينس اليهود أن يخطفوا خارج خطوط الهدنة وبعد توقيعها مع الاردن مزيدا من الارض هو بقية صحراء النقب التي أقاموا على طرفها الجنوبي فيما بعد ميناءهم ايلات .. وصدر قرار حل الاخوان المسلمين وأعيد متطوعوها تحت الحراسة من الميدان الى المعتقلات .. ثم ما تلا ذلك من مقتل النقراشي باشا رئيس الوزراء ثم مقتل الامام حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ثم تغيير وزارة ابراهيم عبد الهادي وتولي حسين سري وزارة صفت المعتقلات وتولت اجراء انتخابات عامة عادت الى الحكم بمصطفى النحاس باشا زعيم الوفد .. كما عادت جماعة الاخوان الى الحياة .

في هذه الفترة كان يجتاح مصر شعور وطني جارف ..

وأعتقد أن هذه الفترة كانت من أخصب فترات حياة سعيد النجار واغناها في العمل الوطني .

الحرب قد انتهت .. ولم يعد للانجليز حجة في تأجيل الجلاء عن مصر وتحقيق استقلالهـــا ..

وانجلترا تماطل كعادتها دائما ولا يستطيع الجهد السياسي وحده ان يحرك العجلـــة .

وهنا قرر شباب مصر أن يجعل من بقاء الانجليز في مصر صفقـــــة خاسرة للانجليز .

لم يدر في خلد شباب مصر أن يهزموا عسكريا الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس أو هكذاكانت ..

وانما قرروا أن يستهدفوا القـــوات الانجليزيـــة التي كانت قـــد انسحبت من القاهرة والاسكندرية وتمركزت في قاعدة قناة السويس ، وأن يحرموا جنودها النوم بالليل ، وان يقتلــــوا منهم من يستطيعون ، ويخربوا لهم ما يستطيعون .

وفتح الشباب الجامعي معسكرا دائما للتدريب على أرض جامعة القاهرة .. وجد ركيزته في شباب الاخوان المسلمين الذين حاربوا في فلسطين ، وكان قائده حسن دوح الذي كان آنذاك طالبا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة .

وباستثناء جهود محدودة وشكلية فأستطيع أن أقول ان عبء معركة القنال وقع جله بل كله على اكتاف شباب جماعة الاخوان المسلمين .

ووجد سعيد النجار نفسه ملتحما أشد الالتحام بهذا العمـــل .. وقليلون من يدركون مدى دور الدكتور سعيد في ذلك . الدعوة للمعسكر .. واقناع هيئة التدريس بالجامعات بتبني هذا الجهد الطلابي من الناحيتـــين الادبية والمادية .. وجمع الاموال من هيئة التدريس لتمويل المعسكر .. فقد كان يحدد لكل منهم ما عليه أن يدفعه ، ولم تخل هذه المرحلة مـــن صدامات له مع بعض الاساتذة وفيهم من له من الاسباب الادبية فضلا عن المادية ما يجعل الموضوع غير حبيب اليه . ثم موضوع شراء السلاح .. سرقة من السلاح الانجليزي أو غوصا الى اعماق الصحراء الغربية لشرائه

من عربانها الذين حصلوا عليه من مخلفات الجيوش ، ثم تهريبه الى حيث يراد . ثم تنظيم علاج المصابين من الطلاب بمعزل عن الاجراءات الرسمية . .

ثم تنظيم تعويض العائدين من دوراتهم القتالية ما فاتهم من الدروس وتكوين جهاز كامل يتولى هذه العملية بانتظام . .

ثم الاشتراك الفعلي في الدورات القتالية مع ابنائه الطلاب . .

كانت هذه فترة مجيدة في تاريخ مصر . .

سقط من الطلاب شهداء مثل عمر شاهين واحمد المنيسي وغيرهما . . رحمهم الله رحمة واسعة . . ورغم أنهم كانوا من شباب الاخوان الا أن الامة كلها مسلميها وأقباطها واحزابها وجماعاتها شيعتهم والتفت حول الهدف الذي كانوا يجاهدون له . .

وآتت الجهود ثمارها فقد بدأ الاسد البريطاني يشعر بالعضة في ذنبه . . وما كان يمضي يوم بدون قتلى أو حرائق أو تخريبات في القاعدة البريطانية في القناة . وبدأ يفقد اتزانه بما اظهر من حمق في استعمال قوته ، مثال ذلك ازالته قرية كفر أحمد عبده من الوجود واستشهاد المدافعين عنها من جند الشرطة المصريين . .

والغت الحكومة المصرية المعاهدة مع انجلترا من جانب واحد . . . واجتاح مصر طوفان وطني . .

ثم كان حريق القاهرة في الليلة التي دعا فيها الملك قادة الجيش وضباطه الى العشاء .

ثم اقيلت وزارة الوفد وتلا ذلك عهد حكومات الاقليات المتعاقبة قصيرة الاعمار . .

واحرقت صورة فاروق وهتف بسقوطه في الجامعة . . وتولى حرسه الحديدي سلسلة من الاغتيالات . .

وسعيد النجار . .

من بين المراقبين لمسرح السياسة المصرية في ذلك العهد من لم يعرفه ولم يتبين وجوده . .

ولكن من بين أصدقائه وزملائه وشركائه في الجهاد في تلك الفترة من هالهم هذا المجهود الفادح والعبء البالغ الذي كان يلزم نفسه بحمله .. كان له في كل نشاط قصص أقرب الى الخيال ومغامرات لا تخطر بالبال .. ومن شدة ما كان يناله من ارهاق ومن اصرار على المزيد منه تمنى زملاؤه لو استشهد فلعل تلك تكون الطريق الوحيدة ليستريح مما اخذ به نفسه من تكاليف .

هذا على الصعيد الفدائي .. أما على الصعيد السياسي فقد كان كذلك شجاعا في ابداء رأيه .. وما زلت أذكر مواقفه في اجتماعات اعضاء هيئة التدريس بقاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة منتقدا للحكم داعيا الى الحريات والغاء الاحكام العرفية والرقابة على الصحف داعيا البلاد من القمة الى القاعدة أن تتكتل لكفاح الانجليز ومن لم يكن معها فهو عليها .

واذكر يوم دعاني أن اذهب معه بصحبة الدكتور رشوان فهمي رحمه الله لزيارة الدكتور يوسف رشاد رحمه الله وكان الطبيب الخاص للملك فاروق .. وكيف أبلغه بعباراته اللطيفة الصريحة المستقيمة ان يبلغ الملك أن الامور تسوء جدا اذا لم يحدد الملك موقفه بوضوح في صف الكفاح الشعبي وأن يتوسع ويلزم معه اغنياء مصر في التيسير عن كاهل الفلاحين بتنازلات حقيقية وقيمة ودائمة .. وكان الملك في ذلك العام قد أعفى فلاحيه من دفع ايجار أرضه .. ولكنه حتى في ذلك كان وراء الاحداث لا أمامها نظرا لاشتداد الازمة والسخط العام الذي كان يجتاح البلاد .

ولم يكن رحمه الله يفعل شيئا من ذلك وهو يعني به نشاطا سياسيا .. لم يدر في خلده يوما ان يكون من أهل السياسة أو من محترفيها ، ولم يدر بخلده ان يكون من المؤيدين أو المعارضين ، ولكنه كان دائما يفعل ويقول ما يعتقد أن فيه صالح البلاد والعباد .. فكانت نصيحته خالصة ورأيه غير مشوب بأغراض شخصية .. وكان الذي يبذله في الخفاء وخلف الكواليس اضعاف ما يبدو للناظرين لانه لم يكن يعتبر نفسه واحدا من الممثلين على مسرح السياسة المصرية .

كانت تلك فترة كفاح وآلام ومخاض في تاريخ مصر .

ولكنها رغم ظلماتها المتكاثفة لم تكن تخلو من ومضات ..

كانت مصر مليئة بالنماذج الحية لبطولة الرأي وشجاعة الكلمة .

كان مجلس الدولة يحكم ضد الدولة بما يرى فيه سيادة العـــدل والقانون .. كانت الصحافة تكيل الضربات لكل انحراف ، وحتى عندمـا جربت حكومة الاغلبية الوفدية أن تسن تشريعات تحــدد حرية الصحافة بايعـاز من الملك قام مــن نواب الوفد أنفسهــم من يعارضون الاتجاه ويوقفونه .

ولولا الصحافة الجريئة لما خرجـت الى النور قضايا الاسلحـة الفاسدة وغيرها من القضايا .

وحتى في ظل الرقابة على الصحف كانت الصحف تصدر وفيهـا مساحات شاغرة بيضاء حذف الرقيب ما فيها ، في احتجاج صامت ينبـه الناس الى انه كان هنا كلام فحذفه الرقيب .

وكان البرلمان يقيم الدنيا ويقعدها لان الملك قد انفق بضعة الـوف من مال الدولة على اصلاح يخته فخر البحار ..

حتى في حكومات الاقليات وبرلماناتها التي زورت لها الانتخابات ، كان يكفي أن يتسرب الى مجلس النواب ثلاثة أو أربعة من المعارضين ليملأوا الجو السياسي على الحكومة حمما ولهبا .

كانت مصر ترى آمالها أمامها ..

وكان سقف الدار مرتفعا يسمح بنمو العمالقة .. مهما بلغ عـدد الاقزام .. وكانت الجامعات قلاعا للحق والرأي ..

وما زلت أذكر بالفخر والعرفان أنه لما بدأت الجامعة معسكرهـا التدريبي لكفاح الانجليز ، افتتحه استاذنا الدكتور عبد الوهاب مورو وكان هو مدير الجامعــة ، واعطاهم شيكا على بياض ، وخصص في مستشفى مورو (الخاص) غرفة لعلاج المصابين منهم بالمجان أدت دورها خـير أداء .

وانتهت نيابتي في مستشفى الدمرداش ، وما هي الا أشهـر عملت فيها بوزارة الصحة المصرية حتى آذن الفراق لسفري الى المملكة السعودية في أول دفعة من الاطباء المصريين تعار للحكومة السعوديـة .. وقبيل السفر أدهشني اهتمام الدكتور سعيد رحمه الله بنا وسعيـه في تجهيز أوراقنا حتى دون أن نطلب منه .. فقد كانت هذه البعثة في نظره وجها

مصريا يطل على السعودية ووشيجة جديدة بين الامتين الشقيقتين وفرصة غالية لتوثيق الروابط بينهما .. ولهذا اعتبر نفسه مجنداً للقيام بأمورنا والاعداد انا وكأنه يؤدي واجبا وطنيا .

سافرنا في مايو ١٩٥٢ وقامت ثورة ٢٣ يوليو ونحن هناك ..

وهللنا للثورة ونحن نرى فيها الامل بعد اليأس والنور بعد طول ظلام . وامسكنا بأنفاسنا ننصت لاخبار الثورة في الاذاعات ، وخشينا أن تلقى مصير ثورة عرابي من قبل ولكنها بحمد الله لم تتعرض للقمع العسكري من الانجليز المرابطين في قاعدة القناة ولا من الامريكان الذين شاع أنهم أصدقاء فاروق .. ونجحت الثورة في التخلص من فاروق ووضعت نهاية لحكم الاسرة العلوية .. والحق أن حركة الجيش كانت أيضا تجسيدا لمطالب نادى بها الشعب وكافح من أجلها طويلا ما وسعه الكفاح .. ولو قامت نفس هذه الثورة في أول عهد فاروق أيام كان شابا يحبه الشعب لما نجحت .. ولولا أن الشعب أولاها تأييده الكامل لتعثرت بل لاجهضت من أيامها الاولى .

والحق أن استجابة الشعب للثورة حالما قامت كانت استجابة عظيمة .. وكان تعاطفه كاملا مع شبابه من الضباط الاحرار اعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذين كانوا يذهبون للعمل راكبين سيارات الجيب وتطول بهم الاجتماعات يتناولون عشاءهم من سندويتشات الفول والطعمية .. في تجرد وانكار ذات وهم يعملون من أجل شعب مصر في غير تفكير في سلطان او منصب أو ثروة ..

وبعد اشهر قليلة كنت في مصر في احدى الاجازات ..

ووجدت سعيد النجار في قلق شديد .. ولعله كان الوحيد من بين أصدقائي واخواني الذي ينتابه شعور القلق : كنا جميعا في غاية الحماسة والرضى ولم نكن متجاوبين معه على الاطلاق .

كانت تجتاح مصر في تلك الاونة نوبة (تطهير) دعت اليها السلطة .. فدعت كل من يعرف عن أحد من زملائه ورؤسائه انحرافات أو مخالفات الى تقديم بلاغ الى دوائر خاصة تتولى التحقيق ...

وكانت النتيجة سيلا من الاتهامات والبلاغات بعضها صحيح وبعضها كيدي .. وانتفت فضيلة المجابهة .. وامتدت كثير من الايدي تطعن من

الخلف وتطعن في الظلام . وعلى مستوى الجامعات لم تكن الجامعات هي التي تحقق فيما يخصها وانما وقفت ذاهلة حيال ما ترى .. وشهدنا فصل افراد من خير من عرفنا من أساتذتنا علما وخلقا وأمانة ونزاهة ، وشهدنا براءة فريق كان فيهم من هو أولى بالادانة والعقوبة ، وأهل الدار بما فيها أبصر .

وفوجئت انني مستدعى من قبل احدى اللجان لاشهد على احد أساتذتي في وقائع نسبت اليه وكان المفروض فيها انه الظالم وأنني المظلوم. وراعني أن يكون ذلك وأنا لم أتقدم بشكوى ولا ببلاغ .. وعز علي مهما كان الظرف أن أقف لاطعن أستاذي من خلف ظهره ، ولقد نشأت نشأة والحمد لله جبلتني على أن للاستاذ فضل الوالد واحترامه ، وما زلت عليها والحمد لله .

ولم اشهد ضد استاذي ..

ورويت ذلك لسعيد النجار فسري عنه بعض الشيء .. ولكنه بقي على تشاؤمه ..

كان يرى في هذه الفترة الشرخ الاول ..

وكنا نناقشه ونعنف عليه في النقاش ولكنه كان يلوذ بجملة ما يفتأ يرددها آنا بعد آن قائلا : ولكن أين الضمانات ؟ ويستمر النقاش ويدور ويدور وينتهي به قائلا : ولكن أين الضمانات .

كان بعيد النظر اكثر من اللازم وأكثر من بقية الناس .. وكانت له نظراته الغريبة ، التي كنا في حاجة لكي نصدقها لمرور السنوات الطوال حتى يتحقق ما يقول .

وعندما تشكلت اول محكمة خاصة كان من بين المتهمين أمامها ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الاسبق .. وكان من بين تهمه الاشتراك في التآمر على حياة الامام حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين . وهللت بعض صحف الاخوان وقتها وهي تشيد بيد العدالة التي تمتد الى المجرمين الذين استطاعوا أن يفلتوا من نصوص القانون واجراءاته .. وشعر الكثيرون بالارتياح وهم يرون خصمهم يقتص منه .

الا سعيد النجار .. كان بنظرته الصافية يبصر ما لا يبصر الناس .. وذهب الى مرشد الاخوان المسلمين الاستاذ حسن الهضيبي رحمه الله

يحثه أن يرمي بكل ثقله ضد هذه المحاكمات وأن يتمسك بالمحاكم القانونية العادية ، وكانت الصلات آنذاك سمنا على عسل كما يقولون بين الثورة وبين جماعة الاخوان ، ولكن سعيد النجار قال للهضيبي بين ماقال : لقد أنشئت هذه المحاكم لمحاكمتكم أنتم .. اليوم خصومك وغدا انت .. وأكرم لك أن تتمسك اليوم بسيادة القانون ولو كان المستفيد خصمك . والحق انه كان يرى في « اختصار الطريق الى العدالة » والتخلي عن اجراءات القانون أخطارا كامنة كبيرة .. وكانت آراؤه تلك نظرات في المستقبل المجهول .. ولكننا نكتب هذا الكلام في اعقاب عودة السيادة الى القانون وعودة القانون الى مصر في أعقاب ثورة التصحيح التي أرساها الرئيس أنور السادات ، وفي أيام أصدر فيها عفوه عن المحكومين سياسيا من قبل عام ١٩٧١ ، بعد أن استردت المحاكم قدرتها على مناقشة شرعية تلك المحاكم الخاصة التي أصدرت تلك الاحكام واستمعت في ذلك الى شهادة شهود كان بينهم من كانوا من أقطاب الحكم في يوم من الايام .

وتوالت الايام في مصر وسعيد النجار حركة دائبة لا تهدأ وهو يسعى بآرائه الاصلاحية بين من يعرف ومن لا يعرف ممن يتوسم أنهم يستطيعون التأثير في خط سير السياسة المصرية ، وكان منهم بعض معارفه من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ويحذر مما يراه من مخاطر مقبلة ، وكان بين كلامه ما يرضي وما لا يرضي بطبيعة الحال .

وتوجس شرا في بادىء الامر لكل بادرة قسمة في مصر .. سواء بين اعضاء مجلس الثورة بعضهم وبعض ، أو بين الحكومة وجماعة الاخوان ، أو داخل جماعة الاخوان ، وحاول كثيرا من المحاولات التي تجمع ولا تفرق ، ولكنه ظل في نظر الفرقاء كلهم موضع احترام فالكل كانوا مجمعين على أن هذا انسان مخلص مجتهد وانه لا يصدر في آرائه عن غاية شخصية أو حزبية أو انحيازا لاحد ضد أحد الا لمصر وصالحها العام . ولم يكن طبيعيا في تداعي الظروف أن يظل متمتعا بحرية الحركة كما هو .. فصدر أمر القبض عليه ولكن حسن الحظ أو قل تدبير الله وحده أنجاه منه .. اذ كان الاستاذ البهي الخولي وهو أحد أقطاب الاخوان الذين كانوا آنذاك على تفاهم مع الحكومة كان في زيارة مسئول كبير فاطلع بالصدفة على مسألة القبض على سعيد النجار .. ولكنه قال للمسئول : « هذا رجل يغضب له كل ملاك في السماء وكل ملاك على الارض . فأين أنتم بين هؤلاء وهؤلاء ؟ وطوى المسئول أمر القبض في الحال .

وتغيرت الجامعات ..

ولكن سعيد النجار لم يتغير .

لقيت المرحوم صلاح سالم في ادنبره باسكتلندا ذات مرة عام ١٩٥٦ خلال أزمة تأميم قناة السويس ، وكان في مهمة صحفية بلندن وعرج على ادنبرة يزور أخته زوجة صديق لي طبيب .. وفيما كان يروي من ذكرياته قال انهـم في باديء الامر أمنوا كل الجبهـات ولكنهـم كانوا يحملون هم الجامعات .. وانحلت هذه العقدة لما زار رئيس الجمهورية جامعة القاهرة وكان في استقباله مدير الجامعة . وفيما كان الرئيس يمد يده لمصافحة مدير الجامعة انحنى هذا على يده فقبلها .. ومن يومها خف هم الجامعات .

ومرت بمصر فترة خيم فيها عليها جو لا يدركه الا من عاشه .. ما كان صاحب راي ليستطيع أن يجهر برأيه وبعضهم كان يوجس ان يفكر حتى بينه وبين نفسه .. في هذه الظروف عقد اجتماع لاعضاء هيئة التدريس بقاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ، في هذا الاجتماع وبحضور عدد مـن اعضاء مجلس قيادة الثورة وقف سعيد النجار والقى في بساطة ويسر كلمته التي احتوت عبارته المشهورة « أضيئوا الانوار يتبين لكم الخبيث من الطيب . واعلموا أن الشعب الذي يخاف من العصا لن يثبت أمـام الدبابة » .

وبعد أيام كان يتهيأ للخروج من منزله صباحا حينما صاح به طفلـه أشرف فجأة : « بابا .. اوع المشنقة » .. وكان أشرف في السنوات الاولى من عمره لذلك كانت صيحته مستغربة .. وأحس سعيد بمن يتعقبه حتى بعد أن ركب قطار الزيتون فقفز من القطار ..

وتوالى بعد ذلك من الظروف ما جعله يقرر العمل بالكويت فجـاء اليها عام ١٩٥٧ .. ومنذ جاء الى الكـويت كان مثـال المصري المشرف والعربي الكريم والمسلم المؤمن والانسان النبيل ..

لم يسمع منه انسان كلمة جارحة وانما وهب نفسه لخدمة الجميع .. وعاش احداث مصر وهو في الكويت .. وكان يمد بصره الى المستقبل ويندر فيمن عرفت من الناس من وجدت فيه هذه النظرة الثاقبة والقدرة عـلى استقراء المستقبل السياسي .. فلقد صارحني بتوقعات كانت تبدو مثـل الرؤى ولكن جاءت الايام مصدقة لكل ما توقع ..

وعصرت فؤاده هزيمة السبع والستين فيمن عصرت فؤادهم .

وكان أصدقاؤه في مصر يتوسمون ان يكون حضوره للكويت راحة له من روتين يومه الشاق .. فلقد كان يومه في مصر يبدأ بكوب من الحليب في السادسة صباحا ثم يخرج فلا يعود قبل الواحدة او الثانية صباحا فيقدم العشاء لوالدته ثم يتعشى وينام ..

ولكن روتين الحياة اليومية في الكويت اظهر انه لم يقل زحمة عنه في مصر .. وفي المرات التي اقنعناه فيها بالسفر للتصييف في لبنان او سوريا كان روتين حياته هو هو معالجا للمرضى وقاضيا لحاجات الناس ويبدو أنه كانت فيه جاذبية خاصة لاصحاب الحاجات .

وفي المرات الثماني التي حج فيها كان في الاقطار الحجازية كأنه دائرة حج منفصلة .. وذات مرة نشلت نقوده من حافظته وهو يحاول حماية بعض السيدات من تدافع الحجاج لدى الحجر الاسود ، والعجيب أنه روى لي هذه الحكاية ووجهه طافح بالضحك مفعم بالسرور وكأنه يروي لي نكتة طريفة لا سرقة نقود في دار غربة .

واستقر في الكويت جاعلا منها وطنه الثاني .. ولم يقض في مصر اجازة من الاجازات .. وحتى عندما نال اشرف التوجيهية كان مشفقا من ارساله الجامعة بمصر ولكن ذلك تم بسلام والحمد لله .

ولئن كان قد أدرك مطلع الفجر بعودة سيادة القانون الى مصر — ومن قبل صرح احد الحكام ان القانون في اجازة — .

لقد رجونا أن يدرك اكتوبر ١٩٧٣ الذي رد الاعتبار وبعث الامل .. وظل قلبه معلقا بمصر ..

ولكنه منذ جاء الى الكويت لم يذهب الى مصر الا مرة واحدة سنة ١٩٥٩ ، ثم لم يطأ أرض مصر بعدها الا ملفوفا في كفنه محمولا في نعشه في اكتوبر ١٩٧٢ ، ليدفن بمدافن الاسرة وكنا نعلم انه يرى ان ستر الميت دفنه ، وان ذلك يكون حيث يموت ، وانها كلها بلاد مسلمين ..

الا ان اجتماعا مختصرا استحسن ان يحمل الى مصر ، اعتبارا لشعور بقية افراد الاسرة الموجودين هناك .

ولا نود ان نختتم هذا الفصل دون ان نلخص مفتاح شخصيتـــــه السياسية .. وان كان مفتاح شخصيته السياسية هو مفتاح شخصيته في شمولها : المحبة والايثار والعمل لسعادة الانسان وحفظ كرامته .

ولو اردنا ان نلخص عقيدته السياسية والمنهاج الذي يطرحـــه والاسلوب الذي يرى اتباعه والصيغة والطريقة وباب النجـــاة ومفتـــاح الخلاص : لو اردنا ان نلخص كل ذلك في كلمة واحدة لما وجدنا اوفق من كلمة « الاسلام » لقد صيغت نفسه على الاسلام كأتقن ما تكون الصياغة، وربى عليه نفسه وأخذ عن بعض الصالحين مثل الشيخ الاودن وغيره ...

ولست في حاجة ان أنوه هنا بأن مفهوم الاسلام عنده لم يكـــن في التعصب ضد غير المسلمين .. والذين عرفوه مسلمين ومسيحيين وجدوا فيه النموذج الحي للتعبير الانجيلي : الله محبة .

وكان يرى انه كلما ازداد الانسان تدينا قل تعصبا .. وان الله لم يرسل الاديان مفرقة بل مجمعة ، وان الله لو اراد ان يتبع الناس دينـــا واحدا لكانت مشيئته، ولكن حكمة الله قضت وشاءت أن يكون الناس على اكثر من دين . وكلما سمع عن انباء عصبية دينية وصفها بأنها انصراف عن التدين علاجه الانصراف الى التدين .

ولم يختصر الاسلام في رأيه الى مراسم السلوك الشخصي ، بل ظل واعيا بأن الاسلام اتى كذلك بما تساس به أمة وتقام عليه دولة ..

ولهذا كانت الصيغة التي يحب ان تأخذ بها مصر وغير مصـــر هي الصيغة الاسلامية .. ولم يكن في ذلك يعني مجرد رفع الشعارات وتعليق اللافتات ولكن الاخذ الفعلي بمنهاج الاسلام للفرد والاسرة والامة والدولة .

وكان يدرك تمام الادراك ان المجتمع الاسلامي ليس مجتمع المسلمين فحسب .. بل هو يضم كذلك الطوائف المسيحية واليهودية وهم فيـــه مواطنون كاملون وليسوا مواطنين من الدرجة الثانيـــة ، ولهم حريتهم الدينية بكفالة القانون الاسلامي .. والجميع سواء امام القاعدة الشرعية : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ..

كذلك لم يستسغ ابدا التصور بأن هناك انفصاما بين الدعوة الاسلامية والدعوة العربية . .وكان يستسخف رأي بعض المتطرفين الذين كادوا

يقولون : اما عربي واما مسلم . بل كان العمل للعروبة في نظره عملا من أجل الاسلام .. فحديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول : اذا عز العرب عز الاسلام .

وكان يدرك ان العرب لم يصبح لهم شأن ولم تتجمـــع منهم امة ولم يقيموا دولة ولا حضارة الا بفضل الاسلام . وقبل ظهور الاسلام ، وبعد ظهور الاسلام في الفترات التي انصرفوا عنه ، كان العرب دائما يعودون الى طبع قديم وعتيد من التفرق والانقسام والاذى فيما بينهم بصورة او بأخرى وحتى وقتنا الحاضر . ولم يكن يصدق أن أية صيغة عقائدية بديلة تستطيع ان تجمع العرب كما جمعهم الاسلام .. وتستطيع ان تحفزهم ان يجاهدوا لها ويموتوا في سبيلها كما استطاع الاسلام .

وكانت له رحمه الله آراء واضحة في مسئولية القائد عن أمته وعن الاحتياط الواجب لسلامتها ماديا وروحيا وعن ايثاره صالحها العام على مصالحه ومشاعره الخاصة . ومن الامثلة التي رواها لي بمناسباتها عددا من المرات على توالي الاعوام مثل قطز حاكم مصر المملوكي حين أبلغوه ان الظاهر بيبرس يتآمر ضده ويبيت النية على الاطاحة به . فكان يقول هذا شر محدود نطاقه بيني وبينه .. ولكن في مواجهة التتار لا يمكن أن أحرم المسلمين من كفاءة قائد كالظاهر بيبرس .. وفعلا ولاه جيوش الميسرة وهزموا التتار في معركة عين جالوت . ثم ان الظاهر بيبرس نفذ مؤامراته وقتل قطز وتولى مكانه . وكان الدكتور سعيد رحمه الله معجبا بالنظرة المستقبلية الواعية لقطز .. فبعد سنوات كان القتيل والقاتل تحت التراب وفي قبضة الموت : ولكن ماذا كان سيحدث للاسلام لمئـــات بل آلاف من السنين لو انتصر التتار في عين جالوت ؟!

وصدق حدس الدكتور سعيد فيما كان .. وصدق حدسه فيمـــا أصاب مصر والعروبة .. وفي هذه الظاهرة التي سميت من بعد بمراكز القوى وفي غيرها من التسميات والمسميات .. الشيء الوحيد الـــذي كان سيسعد به لو عاش هو اكتوبر ١٩٧٣ ، فلقد كانت الشواهد المطروحة لا تنبيء عن أننا سنشهد في جيلنا هذا التحول في مسار الامور . فمهمـــا صارت الامور من بعده فيكفي أنه رد الينا ثقتنا في أنفسنا وأننا بشر كالبشر يسري علينا ما يسري عليهم من عوادي الايام صعودا وهبوطا ، وانّنـــا لسنا مدموغين بلعنة الفشل والخيبة في كل ما نتصدى له أو نمد ايدينـــا

اليه . ولن تعود الامور بعد ٦ اكتوبر ٧٣ أبدا الى ما كانت عليه قبل هذا اليـــوم .

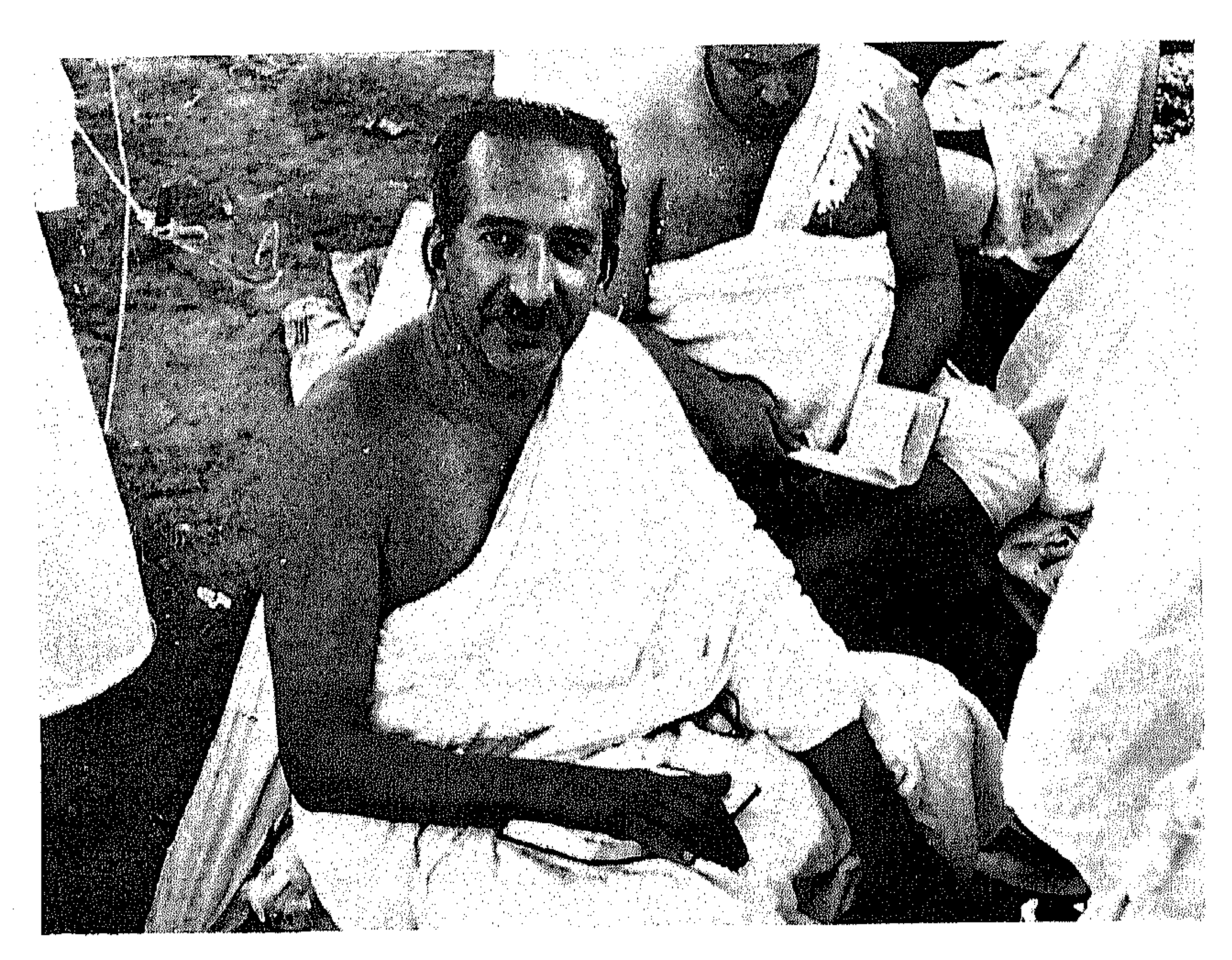
والخلاصة أنه رحمه الله لم ينشأ حزبيا بل انه كان شـــديد البرم بانحرافات الاحزاب وايثارها صالحها على صالح مصر . ومع ذلك فقد كان متمسكا بالديمقراطية وكان يرى الاحزاب مواقع سياسية وليست بالضرورة عداوات بين أبناء البلد الواحد ..

ولم يكن وفديا وان قدر الوفد كحزب الاغلبية الذي حافظ تقليديا على جبهة الشعب تجاه القصر . ولهذا تألم من خطبة للنحاس باشا وهو رئيس لوزارته الاخيرة يقول ان كعبة قلوبنا اليوم هي جزيرة كابرى حيث يصطاف الملك فاروق .. ووجد فيها مهادنة لا يوجد ما يدعو لها .

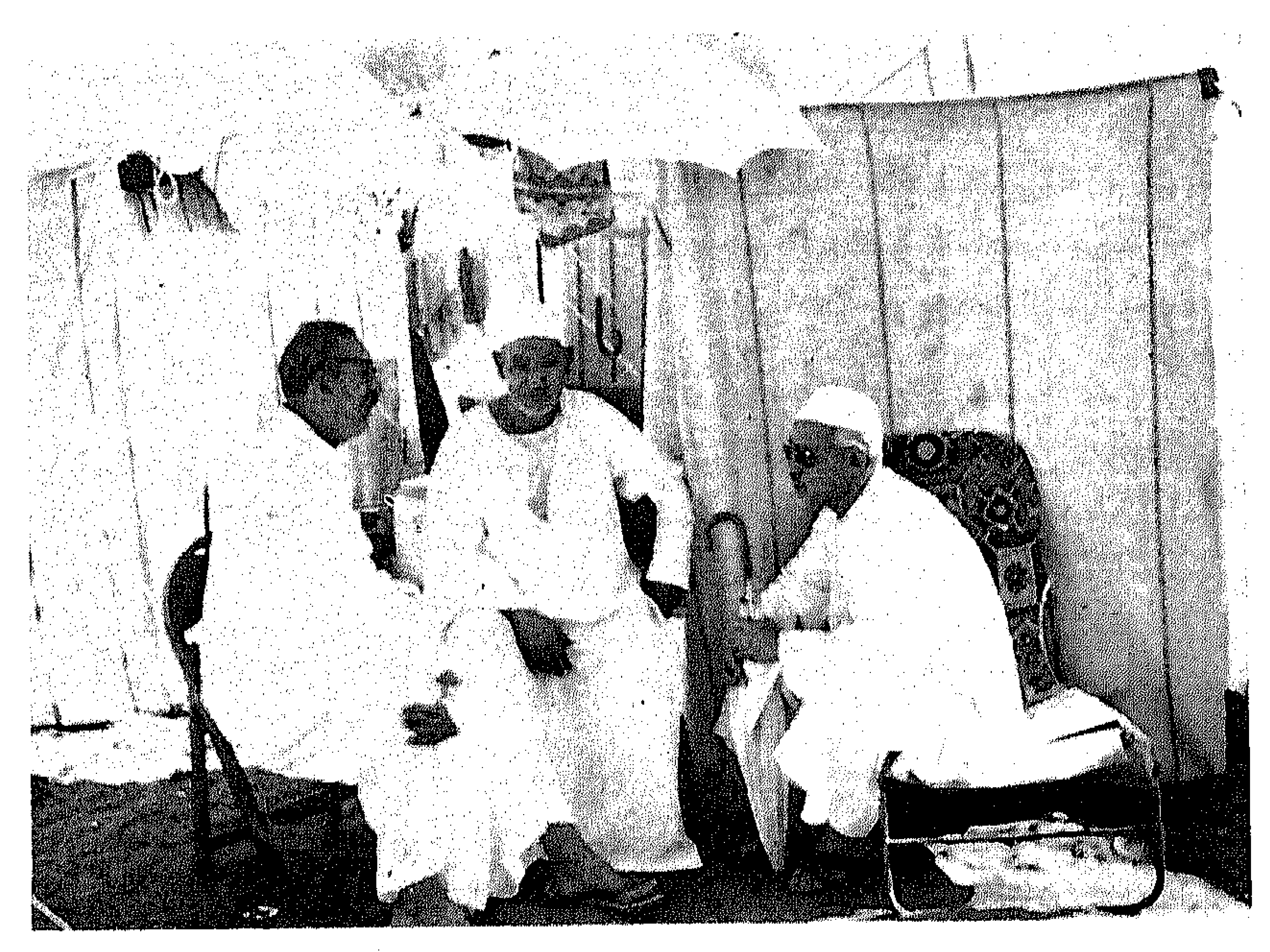
وكان مؤمنا ولكنه الايمان الذي يفتح قلبه بالمحبة للجميع فلا يتعصب ولا يكره ولا يتقوقع .

وكان فقيرا ولكنه لم يصدق ان كل غني هو بالضرورة خائن للوطن وعدو للشعب ، ولا أن كل فقير هو بالضرورة مخلص وأمين . وكما رأى عمالقة الرأسمالية تتهاوى فقد رأى عمالقة جددا وارستقراطية جديدة تتمتع في ظل الاشتراكية بل باسمها بالمال الوفير والعيش النضير وتجمع الملايين بطرق اقل ما يقال فيها أنها غ مشروعة . وطالما تألم لقسمـــة الناس الى طوائف يستعدى بعضهـــا على بعض .. لدمغ بعض الناس بأنهم اعداء الشعب لمجرد ان الدولة اخذت منهم اموالا حتى ولو كانوا على أستعداد للتجاوز عن اموالهم وراغبين في بذل جهودهم لخدمة وطنهم ..

وكان حرا كريما .. يؤذيه كل ما يضيق على الحرية ويخـــدش الكرامة .. ويرى ان الامة ان فرطت في حرية المواطن وكرامته فلن يشفع لها شافع او ينفعها نافع فيما تصدت له من بناء ، وان اتخذت لها من الجن او الانس ظهيرا ونصيرا .



في الحج



أشواك الورد

ليس من طبيعة الاشياء ان تفرش الطريق بالورود على الدوام امام المخلصين والطيبين والاخيار .. والذين عرفوا الدكتور سعيد وأحبوه لا يدور بخلدهم أن في الدنيا « اولاد حلال » كثيرين يؤذيهم « لله في لله » على رأي المثل ان يروا رجلا محاطا بالحب مناطا لثناء الناس عطر الذكر اينما ذكر ثم يدعوه في حاله من غير أن يحاولوا ايذاءه أو النيل منه .. وهو الرجل الذي لم تمتد يده بأذى قط .

وآخرين لم تسنح الفرصة ليؤذوه ولكنهم دأبوا على اطلاق السنتهم فيه بالسخرية من امعانه في خدمة الناس وتسفيه اعماله والتندر عليه تندرا كان في بعض الاحوال مدحا له في واقع الامر ، فان كنت مع جماعة وبلغتم بابا فتأخرت ليمروا قبلك وأصررت على ذلك قالوا أتظن نفسك سعيد النجار ؟ وان دخلت على مجلس كثير الناس فلم تكتف بالقاء التحية وانما رحت تصافحهم فردا فردا قالوا يفعل فعل سعيد النجار .. والحق انني لم أر احدا أفشى للسلام منه سواء بالمصافحة أو برفع اليد للجبهة ، في سمت خاص يعرفه ويذكره احبابه وأصحابه .

ولقد عرضنا لذكر المرحلة المصرية من حياته ونعرج على طائفة مما صادفه في الكويت .. ولعل مما يجدر ذكره انه في جميع أمره قد سلم امره لله تسليما كاملا « ونفى ذاته كلية » على حد تعبير الاستاذ خالد الجسار فيه .. وان الذين تعرضوا له في معظم الاحوال فعلوا ذلك عن حداثة عهد به فلما مرت الايام واستبانوا شخصيته كانوا من أحب الناس له واحناهم عليه .

كاد له البعض لدى المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت السابق وصوروا أنه تباطأ عن تلبيته في الوقت الذي كان فيه في

صلاة الجمعة ، وكاد الامير يغضب لولا أن كان في المجلس زعيم اسلامي نيجيري من ضيوف الامير انبرى للدفاع عن الدكتور سعيد فقال طبيبك لم يعصك ولكنه اطاع الله .. وكلنا في الدين جنود .. وذهب غضب الامير رحمه الله .

ولقد كان الدكتور سعيد يشكل مشكلة لبعض رؤسائه .. الشعبية الكبيرة من جانب ومئات القصاد من الناس للسعي في مطالبهم وقضاء حوائجهم ، ثم خروجه معهم خلال الدوام حتى ولو انجز عمله المطلوب منه ، كل ذلك لم يكن يرضي كل رئيس ممن عمل معهم سعيد النجار .

كان رحمه الله يرى ان عليه ان ينجز عمل يومه .. ولكنه ان لم يتصرف في تنظيم الوقت فستبقى مصالح مئات من الناس معطلة لان غيره لن يقوم بها عنه ..

وكان يرى من بين الموظفين من يبقى الدوام كله دون ان ينجز عملا يذكر .. وأن المهم هو اداء العمل المطلوب على وجه كامل بصرف النظر عن عدد الساعات التي قد تكون ساعات فارغة ضحلة قليلة الانتاج .

وعندما كان يخرج الدكتور سعيد فانه لم يكن يذهب للراحة في بيته أو لشراء مطالبه من السوق ، وانما الامر الواقع أن الرجل اعتبر ان دوامه اليومي هو اربع وعشرون ساعة كل يوم منها عمل للوزارة يؤديه ولا يقصر فيه وعمل للناس ألزم نفسه به في غير الزام وتحمل في سبيله اللوم والتأنيب .

ولقد اتيح لي أن اطلع على خطاب من رئيس الاطباء اليه يأمره بالكف عن الحضور الى الوزارة مع الاطباء او غيرهم من الناس بقصد مساعدتهم على انجاز حاجاتهم او التعيين أو غير ذلك من الامور .

واعلم ان الفكرة السائدة عند البعض بأن الدكتور سعيد كان يقصر في اداء واجبه الرسمي من اجل مصالح الناس فكرة غير صحيحة ..

كان يؤدي ما عليه كل يوم .. وفي ملفه يومان فقط اخذهما اجازة عرضية في الكويت ولو كان ممن يسهل عليهم ترك عملهم اليومي لما اكترث بأن يطلب اجازة عرضية لمدة يوم في هاتين المناسبتين .

ونرى أنه من غير الانصاف أن يكون تفاني الرجل في خدمة الناس كل يوم بالليل وبالنهار سببا في أن نلصق به تلقائيا تهمة التقصير في عمله الرسمي من قبيل الاستنتاج السطحي الذي يأبى على الرجل أن يقدر أن يعطي ما لقيصر لقيصر بسبب أنه يعطي ما لله لله .. وان كان التشبيه مع الفارق فان قيصر وما لقيصر لله .

بل ان سجل الدكتور سعيد يحوي كذلك مآثر من الجهة الوظيفية البحتة .. ففي مرة أخذ المدالية الذهبية في مكافحة الكوليرا ..

وفي مناسبة أخرى وكان في اجازة سنوية يقضيها في الشام سمع بظهور حالات من الكوليرا في العراق .. فاذا به يبعث ببرقية عثرنا عليها في ملفه بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٦٦ هذا نصها « السيد الدكتور حسن سلمان / وزارة الصحة — بمناسبة الكوليرا في العراق أقطع اجازتي أرجو الابراق بعنواني بسفارة الكويت بدمشق — سعيد النجار » .. لولا أن كان الرد « نشكركم لا حاجة لحضوركم » . هذا في الوقت الذي كان فيه البعض يخشون أن يجد الجد فتؤجل اجازات الاطباء .

وعندما نقل الدكتور سعيد الى الصحة الوقائية كان استخراج شهادة الميلاد يستغرق وقتا طويلا جدا .. خاصة ان الدولة قررت أن تكون شهادات الميلاد ضرورة قانونية للتقدم للمدارس والوظائف وغير ذلك .. وتراكم العمل بحكم استخراج شهادات ميلاد بتواريخ سابقة .. فجند نفسه لهذا الامر ، وجند الموظفين بعد الدوام بأجر اضافي حرم نفسه هو منه ، ووزع العمل لكل قسم وله قسمان ، حتى أجهز على هذه المشكلة وأصبحت شهادات الميلاد تصرف في نفس اليوم .. ومع ذلك فقد وجد بينه وبين رئيسه ودا مفقودا .. وذات يوم جمعة ترك منزله لاداء الصلاة ووضع على الباب ورقة مكتوب فيها « غائب لاداء الصلاة — أعود بعد ساعتين » .. وحضر أهل ميت ليحصلوا منه على شهادة الوفاة .. وكان المنطقي أن يعودوا بعد ساعتين أو أن يأخذوا الشهادة من الطبيب رئيس الدكتور سعيد وكان يقطن منزلا مجاورا ومعروفا .. وبطريقة ما وجه أهل الميت الى أن يتقدموا بشكوى ضد الدكتور سعيد الى سعادة رئيس الصحة العامة وكان آنذاك سمو الشيخ صباح السالم الصباح (سمو امير الكويت الان حفظه الله ورعاه) .

ووجد الدكتور سعيد نفسه مضطرا الى الدفاع عن نفسه .. فأرسل مذكرة بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٦٠ ننقلها بنصها من الملف :

سعادة رئيس الصحة العامة

بعد التحية والاحترام

بلغني أن أحد الاهالي قد تقدم لسعادتكم يشكو أنه قد حضر الى منزلي يوم الجمعة ١٩٦٠/١١/٤ لاخذ تصريح وفاة ولم يجدني . والواقع يا سعادة الرئيس أن النظام عندنا يقضي بأن يكون كل طبيب من أطباء مراكز صحة البيئة (ونحن طبيبان) يأخذ شهرا خفرا دائما ليل نهار وشهرا راحة . ولما كان من غير المتيسر أن يبقى طبيب بمنزله مدة ثلاثين يوما دون أن يخرج مثلا لقضاء ضرورة أو تلبية لنداء عمله الانساني ، كان المطلوب من الطبيب اذا خرج أن يترك عنوانـــــه او موعد عودته وبالاخص أن التصريح لو تأخر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فلا ضرر من هذا والمهم ألا يتأخر عنها . وجرت العادة أنه في حالة عدم وجود طبيب الخفر أن يتقدم أهل المتوفى ورجل (المغيسل) الى السيد الدكتور رئيس شعبة صحة البيئة أو السيد الدكتور رئيس قسم الصحة الوقائية فاذا لم يجدهم جميعا فليتقدم الى السيد الدكتور رئيس الاطباء ثم الى السيد المدير فاذا لم يجدهم جميعا فلا مانع من اضطراره لاقلاق سعادتكم . وفي يوم الجمعة ١٩٦٠/١١/٤ خرجت قبل صلاة الجمعة بحوالي ساعة ونصف وتركت ورقـــة علـــى رقـــم المنزل بأنني عائد بعد الصلاة بساعة . ولما عدت حضر الي جماعة الساعة ٢ بعد الظهر طالبين تصريح وفاة وأعطيتهم التصريح اللازم وانصرفوا . وعلمت من جاري أنهم حضروا قبل ذلك وأنه أفهمهم أنني سأحضر بعد الصلاة . من هذا ترون ياسعادة الرئيس أن تصرفي كان في حدود النظام والقانون (والمعجيب أن المتوفي يوم الجمعة ١٩٦٠/١١/٤ توفي الساعة الرابعة والنصف صباحـــا ولم يحضروا الا قرب الظهر) . ويوجد منزل السيد الدكتور م.ع. (رحمـــه الله .. نمسك عن تسجيل اسمه .. رئيس الصحة الوقائية آنذاك) على قيد خطوات من منزلي وكان يمكنهم أن يتصلوا بسيادته وهو على أتم استعداد ليلا ونهارا وعنده دفتر مماثل للتصاريح بدلا من اقلاق سعادتكم يوم الجمعة .

هذا بالاضافة الى انني خلال الاشهر الثلاثة الماضية يعتبر عملي في التصاريح شبه تطوع . فقد جرت العادة أن يأخذ الطبيب شهرا خفرا وشهرا راحة . ولكنني بعد شهر الخفر كان زميلي في اجازته السنوية

لمدة شهرين فانتظرت حضوره واستمر خفري شهرا آخر .. ثم نقل زميلي واستمر خفري شهرا ثالثا ورابعا وضمنها شهور الصيف شديد الحر والتي كثرت فيها ضربات الشمس القاتلة مما كان يجعلني أحيانا اعمل مدة ٤٨ ساعة متواصلة دون نوم أو راحة . والله يعلم ما كنت احس به من اجهاد وآلام . وكان أصدقائي وبالاخص الاطباء يحذرونني من هذا قائلين لي ان هذا بمثابة انتحار ، ولكنني كنت أعمل دون أن أشكو لتيسير العمل وأطلب من الله أن يقدرني على الاحتمال . وكنت كلما أحسست بآلام الذبحة استرحت قليلا في مكاني ثم استأنفت العمل . وما زلت خفرا حتى اليوم أي أنني منذ ١٥-٦-٦٠ حتى اليوم ١٢-١١-٦٠ وأنا في خفر دائم ليل نهار ما عدا شهرا واحدا أخذه زميلي قبل قيامه بالاجازة وقبل نقله ، وحتى في هذا الشهر كان بعض الاهالي يحضرون الي خطأ وكنت لاأردهم ما دمت موجودا بالمنزل . وقد حل هذا الموضوع بحمد الله بعودة زميلي وبتعيين زميل ثالث اذ سنتناوب الخفر بعد ذلك .

هذا بالاضافة الى أنني كنت أعمل خلال شهور الصيف وأوائل الخريف زيادة على وقت العمل الرسمي وذلك عندما اشتد ضغط شهادات الميلاد لطلبها للمدارس ولقرب تنفيذ قوانين قيد المواليد . فقد كنت آخذ مئات الشهادات الى منزلي لاستكملها . ولما طلب مني السيد رئيس القسم العودة بعد الظهر أنا والمفتش الصحي تطوعا كنت أحضر باستمرار واستمر بعد الوقت المحدد كما رآني السيد الدكتور رئيس الاطباء بالنيابة أثناء مروره . نعم كنت أحضر رغم أن الموظفين الكتابيين كانوا يعتذرون عن الحضور رغم الاجر الاضافي قائلين ان هذا الارهاق لا يقدر باي أجر اضافي مهما كان . وكان يحضر السيد الدكتور رئيس القسم وكذا المفتش الصحي . وقد قال لي مرة السيد الدكتور رئيس القسم بانه سمع عن حالتي الصحية وانني اذا رأيت أن هذا ارهاق لي فانه مستعد للبقاء بالنيابة عني بدلا من مروره على المركزين فشكرته وقلت له انني أحاول أن أحتمل لتيسير العمل والحمد لله سار العمل وانتهى المتاخر من شهادات الميلاد والحمد لله أصبح طالب شهادة الميلاد ياخذها في نفس اليوم بدلا من أن ياخذها بعد شهر أو شهرين او ثلاثة (الا اذا أرسل مستعجلا فقد ياخذها بعد يومين) .

من هذا ترون سعادتكم أنني أعمل بكل اخلاص وبكل تعاون واعمل أكثر من طاقتي مضحيا بوقتي وصحتي وأمامي هدف هو أن يسير العمل على أكمل وجه وأن أرضي ربي وضميري ورؤسائي والجمهور .

هذا يا سعادة الرئيس هو موقفي وعملي وأرجو أن تكونوا راضين عن هذا التصرف وعن هذه الطريقة في العمل . وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام —

د. محمد سعيد النجار
مركز صحة بيئة دسمان — الصحة الوقائية

هذا هو رد سعيد النجار ، وهذا هو منهاجه في عمله الرسمي الحكومي ، وما كان ليصارح به لولا أنه حوصر في موقف دفاع شرعي عن النفس ..

على أن الروعة كانت في تعقيب سمو الشيخ صباح باركه الله ..

كان في امكانه أن يغلق الموضوع عند هذا الحد ..

وكان في امكانه أن يؤشر بحفظ الشكوى ..

ولكنه شاء أن يضرب مثلا وأن يعطي درسا ..

وهو درس جدير بأن يكون تحت انظار الرؤساء والمرؤوسين جميعا . درس للرؤساء في حسن تقدير حق العامل الذي لا يستقيم العمل الا به . ودرس للمرؤوسين في أن المجتهد منهم موضع تقدير الرئاسة الواعية ومساندتها . لقد خط سموه بخط يده وبالقلم الاحمر تعقيبا لست أدري لماذا لم ينل حظه من الذيوع ولعل من حسنات هذا الكتاب أن ينشره ولا نعتقد أنه نشر بعد أوانه فالحاجة له جديدة متجددة. وهـذا نصـه :

رئيس الصحة الوقائية المحترم

بعد اطلاعي على هذه الرسالة وجدت أن الطبيب المذكور قد ضحى بصحته وبوقته وقد داوم باوقات غير مسئول عنها وخصوصا بحرارة الصيف والكتاب يعبر عن أشياء لم أذكرها بهذه المذكرة واذا كان الحال كذلك فعليه يكون ناس من الاطباء لا يعملون الا بدوامهم الرسمي

رئيس الصحة الوقائية المحترم

بعد الاطلاع على هذه الرسالة وجدت ان الطبيب المذكور قد ضحى بصحته وبوقته وقد داوم باوقات غير مسؤول عنها وخصوصاً بحرارة الصيف والشتاء يصرعن اشياء ولم اذكرها بهذه المذكرة. واذا كان الحال كذلك. فعليه يكون ان اناس من الاطباء لا يعملون الا بدوامهم الرسمي والآخرون يعملون شهراً كاملاً ليل نهار تحت نداء الواجب الانساني العظيم. ولا يكون لهم ميزة تشجعهم على عملهم الاضافي. انني اقدر مثل هؤلاء الاطباء وستقدم لاجازتهم على تضحياتهم التي ستصبح مثل اعلى امام الجميع

١٩٦٠/١١/١٢

للحفظ بملف الدكتور – محمد سعيد النجار
وقد ارسلت نسخة للسيد رئيس الهيئة الصحية العقائدية

١٢/١١

والآخرون يعملون شهرا كاملا ليل نهار تحت نداء الواجب الانساني العظيم ولا يكون لهم ميزة تشجعهم على عملهم الاضافي . انني أقدر مثل هؤلاء الاطباء ومستعد لاجزيهم على تضحيتهم التي ستصبح مثلا أعلى أمام الجميع .

(امضاء) صباح
١٩٦٠/١١/١٢

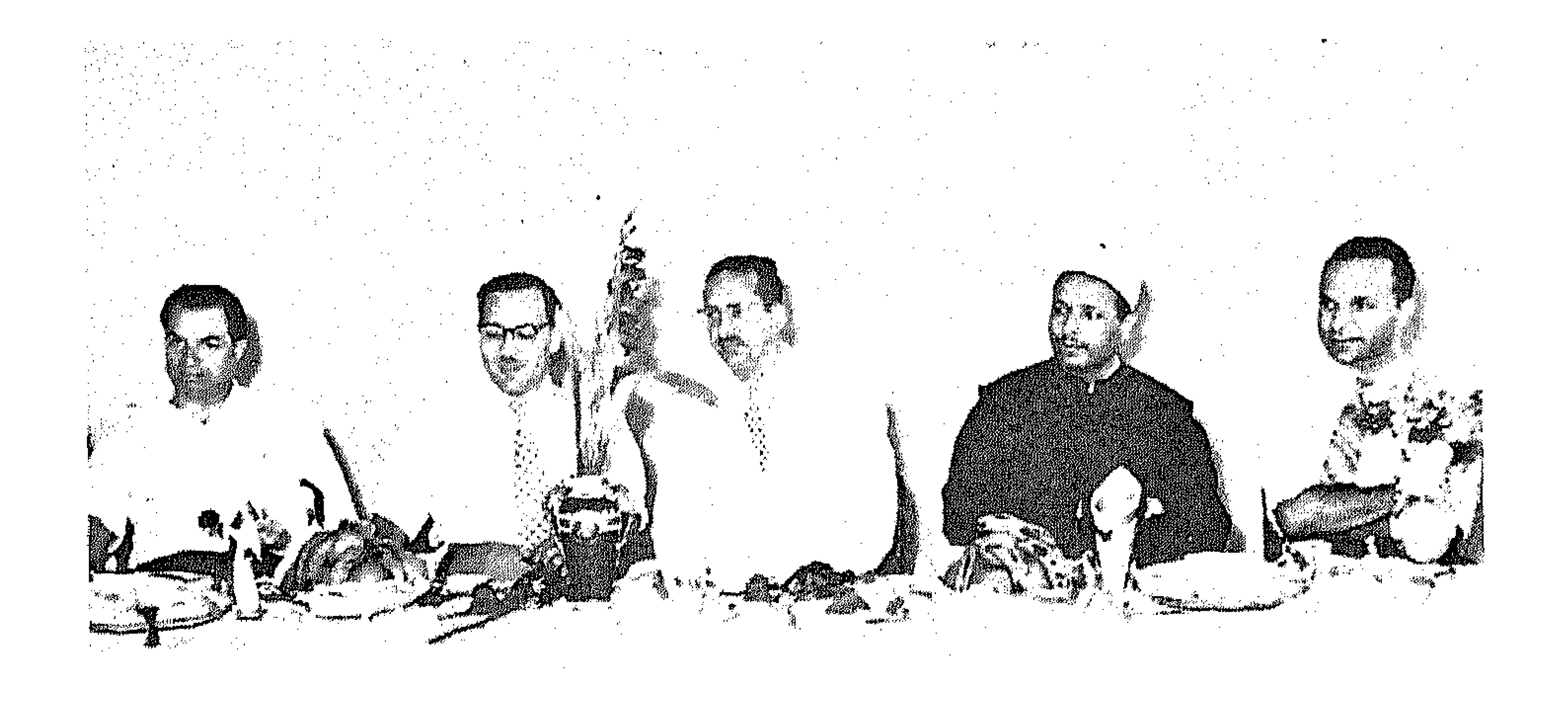
وفي باب الانصاف أيضا — حتى نثبت أن ليست كل الرئاسات اشواكا — خطاب من الدكتور عمر الالفي الذي كان رئيسا للصحة المدرسية أيام كان الدكتور سعيد يعمل بها (والاستاذ بجامعة كاليفورنيا الان) الى مدير الصحة العامة في ١٩٦٠/٤/٢٨ هذا نصه :

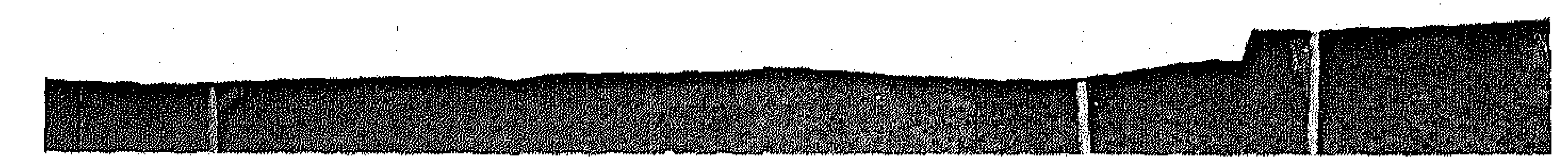
السيد مدير الصحة العامة المحترم

يسرني أن ابلغ سيادتكم بما حدث بعد ظهر الثلاثاء ١٩٦٠/٤/٢٦ فقد اقامت مدرسة سعد بن أبي وقاص حفلة شاي تكريما لطبيب المدرسة السيد الدكتور محمد سعيد النجار تقديرا لمجهوداته وألقيت في الحفل كلمات مناسبة وبعض الاناشيد وحضر الحفل عدد من حضرات مفتشي المعارف وحضرات الاطباء والمدرسين والطلاب وأعتقد أن هذا الحفل كان الاول من نوعه في مدارس الكويت كما أرجو التكرم باضافة نسخة من هذا الخطاب — ان أمكن — الى الملف الخاص بالدكتور محمد سعيد النجار .

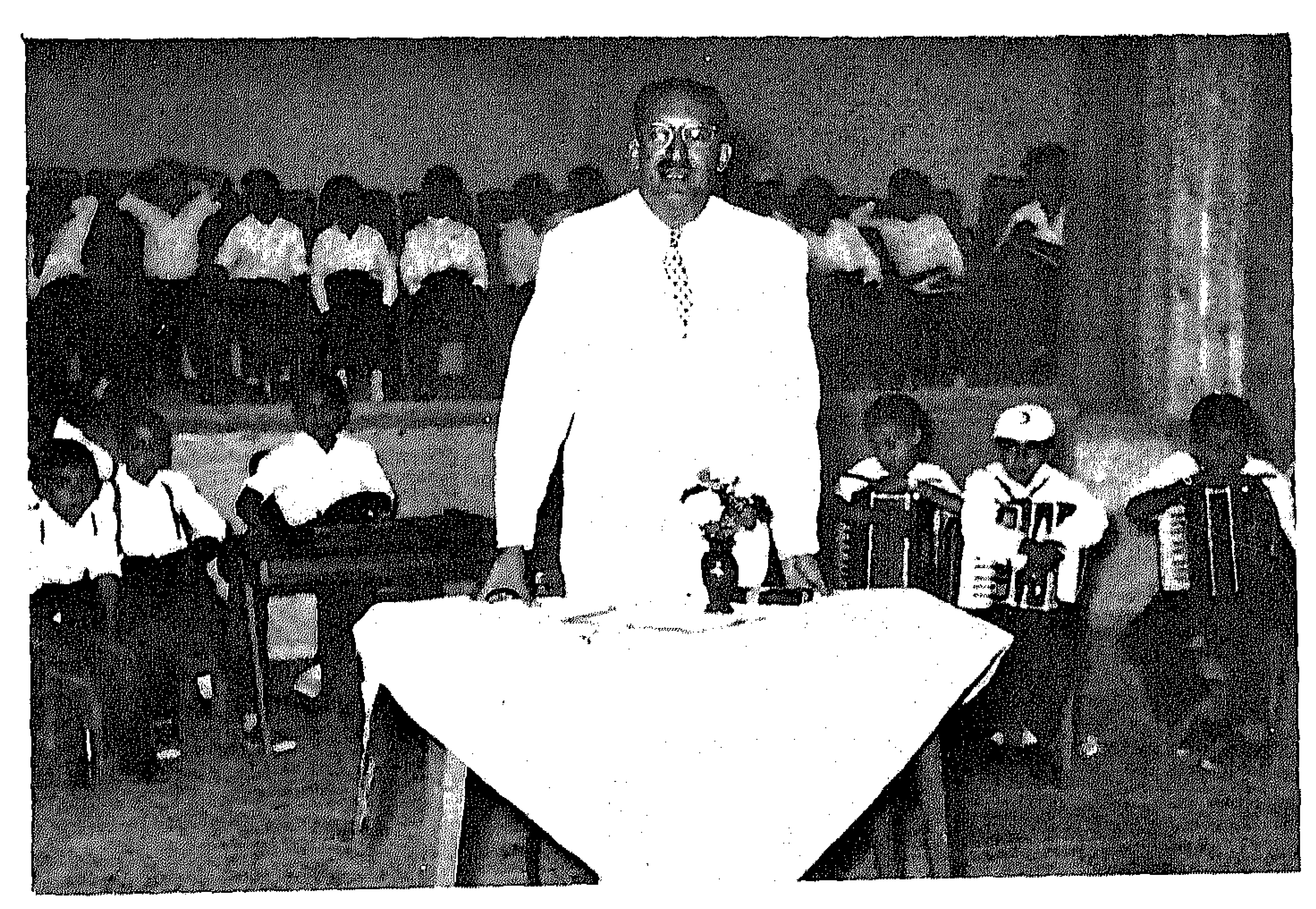
رئيس قسم الصحة المدرسية
عمر الالفي

ولقد احسن مدير الصحة المدرسية صنعا اذ طلب ادراج هذا الخطاب في ملف الدكتور سعيد .. فلعله « يكسر سم » التقريعات الاخرى والدائرة كلها حول تفانيه في مساعدة الغير . وعلى الرغم من أن الرجل كان يبغي في مساعيه وجه الله ويتحمل في سبيل ذلك كافة المضاعفات ، الا أن امثال هذه التقديرات الادبية هي اقل القليل ، ولسنا نعتبرها رصيدا له بل رصيدا للبيئة التي كان يعمل فيها وانها لم تخل ممن يقدرون الرجال ويبصرون الجميل فلا يسمونه قبيحا . كما انها كانت له





في حفلات تكريمية من قبل المدارس التي كان طبيبا لها



رحمه الله عزاء وشفاء .. فلقد التحق بالخدمة في ١٩٥٧ ومات في ١٩٧٢ وهو لم يزل بالدرجة الثانية .. وفي الملف في يناير ١٩٦٢ طلب قرض من بنك الائتمان عن طريق وزارة الصحة بضمان الراتب والمكافأة .. هذا في عام ١٩٦٢ قبل أن يتفاقم مستوى المعيشة الى ما آل اليه وأيام كانت القاعدة أن راتب الطبيب يزيد قطعا عن نفقاته فلا بد أن يوفر كل شهر مبلغا من المال .

أما حفل التكريم الذي اقامته له مدرسة سعد بن أبي وقاص (ثم تلتها مدارس ابن زيدون والسالمية والمرقاب وهي المدارس التي كان يعمل بها) ، فما زلت أذكره كأنه الامس القريب .. اذ أعطيت الكلمة فقمت أقول انني غير موافق على تكريمكم للدكتور سعيد النجار .. بل انني اوجه اليه انتقادات ثلاثة تحول بيني وبين المساهمة في هذا التكريم. الاول ان على الطبيب ان يجد الوقت الكافي لقراءة الجديد في الطب حتى يحسن علاج مرضاه وهذا حق مرضاه عليه . والثاني أن على الطبيب أن يوفر لنفسه قسطا من الراحة وأن يعنى بصحته لانه ان اعتل اختل ومع الارهاق المستمر يكون عرضة للخطأ . وهذا حق نفسه عليه . وثالثا أن الطبيب وهو يرشد الآباء والابناء عليه أن يكون قدوة في رعاية الآباء للابناء وهذا حق بيته عليه . والدكتور سعيد مقصر في كل هذه الامور . ولما كان لحضراتكم دور كبير في هذا النقص وفي القدرة على تلافيه فانني ادعو كلا منكم ان يبذل جهده في هذا الصدد . فلا داعي لاستدعاء الدكتور سعيد الى المنزل من اجل صداع بسيط او لقياس ضغط الدم او لتطعيمات الجدري .. ولا داعي لاصطحاب الدكتور سعيد الى المستشفى لزيارة الطبيب الاختصاصي .. وعليكم أن توفروا عليه كل ما تستطيعون من وقت وجهد وصحة والا كنتم كالرجل الذي استعجل على دجاجته التي تبيض له كل يوم بيضة الذهب .

كنت احاول على الدوام أن انقذه من هذا الارهاق المستمر الذي يعيشه . ولقد كان رحمه الله بين الآن والآن يختلس الى منزلي سويعات من الليل خلال مشاويره التي لا تنفد ، يخلع نعليه وآتي له بكرسي عليه وسادة طرية يمدد فوقها رجليه ثم نتجاذب أطراف الحديث ذي الشجون فكان كثيرا ما يقهره النعاس في خلال جملة يقولها فلا يتمها وأتركه في رحمة النوم ما تيسر له من لحظات يفيق بعدها فيتم جملته من جديد . بل قد حدث مرة ان زار احد المدرسين في بيته ليعود والدته ، وفيما كان

يمد يده لاخراج جهاز الضغط من الحقيبة غلبه النعاس فتركوه نائما أكثر من ساعة .. وتذكرنا هذه بقصة مقابلة حدثت في القاهرة اذ ذهب لبيت أحد زملائه الاطباء ليعطي زوجته المريضة حقنتها اليومية بالوريد ، فوجدها نائمة فأبى أن يوقظها وظل في الانتظار حتى استيقظت بعد ساعتين .

ولقد كان من الامور العادية جدا أن تطلب الدكتور سعيد لعيادة طفلك أو لتطعيم اهلك المسافرين .. ويتأخر الدكتور سعيد فتظنه قد نسي حتى تفاجأ به يدق جرس بيتك في الثانية او الثالثة صباحا ليؤدي مهمته .. ويرى متلقي الخدمة في هذا مشقة لا يحس بها معطيها . بل ان بعض العابثين استغلوا مرة شهرة الدكتور سعيد في عدم رفض أي نداء فتلفنوا له ذات ليل بدعوى مريض واعطوه رقما وهميا لمنزل في شارع بالسالمية ، وراحوا يرقبونه يذرع الشارع جيئة وذهابا ويسأل البيوت ، حتى تحرك وجدانهم فصارحوه بأنهم كانوا يختبرون تلك الشهرة وأنهم صدقوا وآمنوا واعتذروا له على ما جشموه من تعب .

ولقد كان هذا العطاء الفائق للدكتور سعيد ذا اثر عكسي على صحته من جهة أخرى غير الكد والجهد والارهاق .. فانه لما ظهرت عليه اعراض الذبحة الصدرية وظهر عنده مرض السكر ، كان من الصعب على رؤسائه ان ينظروا الى حالته الصحية نظرة جادة ، على الرغم من أن مريضهم طبيب ورؤساءه اطباء . كان من الصعب عليهم أن يوفقوا بين حالته المرضية كما هي مكتوبة على أوراق التقارير والتحاليل وبين هذا الجهد الكبير المتصل الذي يقوم به لقضاء حاجات الناس .. وبالرغم من ان حالة القلب والسكر واضحة عنده من سنة ١٩٥٨ وتكررت مضاعفاتها عنده، فان الذي يراجع ملفه يعجب كيف كانت بعض الاجازات المرضية الممنوحة له موضع اعتراض .. ويستغرب مثلا لتأشيرة في ١٩٥٩/١٠/١ تقول « نظراً لمرضه بالسكر والذبحة يعفى من خفارة المستشفى الاميري » ، تتلوها تأشيرة أخرى في ١٩٥٩/١٠/٣ تقول : « عليه أن يعمل أسوة بزملائه ــ نسخة لرئيس الصحة المدرسية » .. لولا أن أعيد النظر في الامر بمعرفة لجنة طبية رأت اعفاءه من خفارات الليل الى آخر العام والموافقة على ذلك في ١٠/٢٥ .. وهكذا حتى نصحت لجنة طبية أخرى في ١٩٦٠/٤/٦ بنقله الى قسم الطب الوقائي

حيث لا يتطلب ذلك العمل خفارات ليلية .. حتى تسلم عمله بالصحة الوقائية فعلا في ١٩٦٠/٦/١٥ .. ولعل هذه كانت بادرة انصاف فقد طلبت الصحة أيضا في ١٩٦٠/٩/١٤ نقله من منزله الضيق جدا بالسالمية الى منزل رقم ٧ منطقة ١١ قرب المستشفى الاميري حيث كان الاولاد قد بلغ عددهم ثمانية .

أما العمل بالصحة الوقائية ، الذي نقل اليه ليستريح من خفارات الليل ، فقد قرانا وصفا له في خطابه سالف الذكر لسعادة رئيس الصحة العام . ومما لا بد أن نورده هذه الذكريات واقعة تستمد طرافتها من أنها وقعت بينه وبين واحد من الذين أصبحوا فيما بعد من أكبر الناس حبا لسعيد النجار وتقديرا له وثقة فيه .. هو السيد عبد الرحمن العتيقي وزير مالية الكويت ، في أول عهده مديرا لدائرة الصحة عام ١٩٥٩ . فقد كان الدكتور سعيد رحمه الله في اجازة بالقاهرة وفاجأته مضاعفات مرضية أدت لدخوله المستشفى في القاهرة وعاد متأخرا عن اجازته العادية ومعه الاجازة المرضية . ولكن السيد عبد الرحمن العتيقي قدر لوجهة نظر ارتآها او مسموعات سمعها أن هذا المرض لم يكن ليحول بين الدكتور سعيد وبين العودة ، فقرر خصم مدة الاجازة المرضية من مرتبه . وفي هذا يورد الملف خطابا منه رحمه الله هذا نصه :

السيد الفاضل عبد الرحمن العتيقي

علمت ان دائرة الصحة لم تعترف باجازتي المرضية رغم المستندات الرسمية التي قدمتها معتقدة أن المرض الذي كنت أشكو منه ما كان ليؤخرني عن الحضور في موعدي . والحق ان مرضي منعني من الحضور في موعدي . ولست أذكر ذلك لاصون قدرا من المال حرمته بل احقاقا للحق وصونا لكرامتي . ويعصمني حسن ظني بسيادتك وبالسادة المسئولين بالدائرة أن أفكر أنكم تحملون عني فكرة المدعي او المتمارض . وتمنيت ان اسعى اليكم باللقاء الشخصي للحديث عن ذلك ، فان كان في الصدر متسع فانا على الاهبة لذلك ان أمرتم .

مع خالص تحياتي واحترامي والسلام عليكم .

دكتور محمد سعيد النجار
٥٩/١١/٢٩



يحيي سعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح



مع السيد
عبد الرحمن العتيقي
والدكتور مصطفى
عبد التواب

ودارت الايام .. وازداد السيد عبد الرحمن العتيقي معرفة بالدكتور سعيد .. ثم كان حفل التأبين الذي اقيم في الجمعية الطبية الكويتية فكان السيد العتيقي أول المتحدثين .. واستهل كلمته قائلا ليس من عادتنا في الكويت أن نؤبن موتانا ولهذا لم يسبق لي أن وقفت هذا الموقف ولا أعتقد أنني سأقفه مرة اخرى .. لولا أن لسعيد مكانة في النفوس تمثلت فيما وصف الله به أمثاله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . وبين أن شح النفس ليس شح المال فحسب ، بل شح الجهد والوقت والسعي في مصالح الناس .. وأن الله اكرم سعيدا في كل هذه الصفات . ثم عرض الوزير للحادثة التي عرضناها وشكاو وردت بأنه لا ينتظم في الدوام .. وروى الوزير يوم توعك وأحس بصداع شديد في الساعة الثانية بعد الظهر وكان الصيف قائظ الحرارة مما أوقع الوزير في حرج من استدعاء طبيب في هذا الهجير اللافح ، واذا بالباب يطرق وسعيد جاء بغير دعوة يخاطبه في مصلحة لاحد الناس .. فعاينه وجاء له بالدواء ..

وأدرك من بعد ومن قبل أن دوام سعيد اليومي هو الاربع والعشرون ساعة .. هو فيها دائم الطواف والسعي في خدمة الاخرين ما عرف عنه سعيه في مصلحة شخصية لنفسه قط .

ألسنة الخلق أقلام الحق

كنت أعوده ذات مرة في رقدته الاخيرة بالمستشفى .. قال لي أنا متأسف لان الظاهر انني لن أستطيع أن أحضر الندوة .. وكنا باسم اللجنة الثقافية للجمعية الطبية الكويتية قد دعونا لندوة موضوعها « رمضان والانتاج » بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ، وكان الترتيب أن يكون بين المتكلمين فيها السيد عبد الرحمن العتيقي وكاتب هذه السطور .

وكان من شهرة الدكتور سعيد حرصه الشديد على حضور كل أوجه النشاط العلمي والثقافي .. ندر أن تفوته أمسية علمية او ثقافية في الجمعية الطبية أو في الهلال الاحمر الذي كان من أعضائه النشيطين .. فقد كان حريصا على الاستفادة من جانب ومن جانب آخر كان يشعر بأن هذه النشاطات تقام من اجل الاطباء فمن التفشيل للمحاضر الذي بذل جهده لاعداد المحاضرة أن يأتي فلا يجد الا عددا محدودا من الحضور ، ولانه كان يرى أن من واجب الزملاء ان يحضروا فقد الزم نفسه الحضور باستمرار . ويشاء الله ولا راد لمشيئته الا تكون الندوة التي أسف سعيد على عدم حضورها ، ولكن ان تشهد الجمعية الطبية الكويتية في نفس موعد الندوة حشدا زاخرا من الاطباء وغير الاطباء في حفل تأبين سعيد النجار رحمه الله .

وتحدث بعد السيد العتيقي الدكتور خالد حسين رئيس مجلس ادارة الجمعية الطبية آنذاك فأسهب في مناقبه ، وذكر أنه كانت له رحمه الله رغبة في اقامة مصلى بدار الجمعية ، فأعلن عن اقامة المصلى وتسميتها مصلى الدكتور سعيد النجار .. وتم ذلك بمقر الجمعية .

وتلاه الاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل مدير الجامعة آنذاك ، وذكر أنه كان على أهبة زيارته ولكن يد القدر كانت أسبق .. وتكلم عن عظة الموت وأن الموت للمؤمن عودة واطمئنان ورضى وسكينة ، حيث قال عز وجل « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي الى ربك راضيــــة مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .. ولم يقل اذهبي بل قال ارجعي .. وتكلم عن اخلاقيات سعيد حتى خلص الى انه كان ظاهرة لها تميز كالعطر والنور ، وخيرا لا يعرف الشر .. وكأنما كان سمـــع الدكتور عبد العزيز كامل خبيئا في قلوبنا فاقترح أن يؤلــف كتاب عنه ، وهو ما كان بالفعل قد ترقرق في الخاطر وادرنا فيه الحديث مع بعض الاخوان ثم قاهرتنا عنه شواغل الايام حتى اذن الله فكانت هـــذه الصفحات .

أما كلمة الزميل الدكتور عصام الشربيني فقد كشفت عن بعض صفحات مطوية من سجل حياة الدكتور سعيد لا يعلمها كثير من الناس . وقال انه ظاهرة فذة جديرة بالتسجيل لانه لم يكد يعرفه احد الا كـــان لسعيد يد عليه في نفسه او أهله او أصدقائه . وقال : صورة تقفز الى ذهني منذ خمسة عشر عاما وكان الطبيب منا يكاد يهلك مـــن العمل في الحر القائظ : ويسرع الواحد منا الى غرفة باردة حتى نرى سعيدا قـــد جاء بمريضه للمستشفى الاميري واستمر في علاجه ورعايته فننهض معه مستحيين من انفسنا .. واخذ يتقصى جوانب شخصيته ولين جانـــبه وخفض جناحه وأبوته للكبير والصغير ، وعاد الى ذكريات خالية حيث قال : منذ عرفته مدرسا لي بكلية الطب المصرية عام ١٩٤٤ لم أره الا في قاعة المحكمة العسكرية في أوائل الخمسينات ومصر تمر بأعنف ارهاب بوليسي لم تشهده من قبل ، وكان الذي يبدي أثرا من الانصاف للمتهمين السياسيين او يتصل بأقاربهم من بعيد او قريب يعرض نفسه لاشـــد أنواع الاذى .. رأيته يدخل قاعة المحكمة العسكرية وهي تحاكم بعض المتهمين ليدلي بشهادته وسط ذهول الحاضرين وهمس القضاة الذين كان لطلعته عليهم أثر كبير في خلق جو من السكينة ، وفي شهادته بيان للحق، اذ حكى لهم كيف ان أحد ضباط سجن الاجانب استدعاه ليلا من الهلال الاحمر ليقوم بالكشف على مريض في الزنزانة مصاب من آثار تعذيب شديد فأصر على أن يصحبه للمستشفى للعلاج .. فاعتذر له الضـــابط بأن ذلك ممنوع ، واصر سعيد ولم يفلت منه الضابط الا بحيلة وهي قوله

انه استدعاه بصفة استثنائية وبدون علم المسئولين وسيقع عليه ضـــرر ان خرج معه ، ووعده بأن يستأذن المسئولين ويتصل به في المستشفى .. وبهذا خرج سعيد لا الى بيته بل الى المستشفى في انتظار طلبه .. ولما طال انتظاره وطلب السجن بالهاتف مرات ولم يرد عليه احد ، حزم أمره وذهب الى السجن وطرق الباب ولكن الضابط افلت منه مرة اخرى بأن قال ان المريض قد تم تحويله الى المستشفى العسكري !!

وحينما قامت حركة الفدائيين في قناة السويس عام ١٩٥١ ظهـــر الدكتور سعيد عملاقا بطلا .. فقد كان السلاح يشترى من الســـوق السوداء واكتشف الفدائيون ان الباعة هم عملاء المخابرات العسكريـــة المصرية فحمل عبء التغطية على الفدائيين وحده لخشيتـــــه عليهم في الصحراء من تجار السلاح فكان يصحبهم في سيارة اشتريت لهذا الغرض وينتظرونه حتى يعود بهم الى مراكزهم .. ولما كان الســـــــلاح يشترى بالقروش الزهيدة التي تجمع من افراد الشعب فقد تطوع هو أن يقوم بجمع المال من اساتذة الجامعات وكان لايرضى بأي مبلغ يقدمونه بل كان هو يقدر للواحد منهم المبلغ ويحصله حتى جمع بذلك حصيلة كبـــيرة وأصابه بذلك عنت شديد لعله كان سبب اقصائه عن الجامعة . وكان يقوم بدور الاب الرحيم لكل فدائي ويكون صلتهم بأهليهم .. ولقد مرت فترات كنا نتمنى له ان يستشهد لكي يستريح من ثقل ما حمل من اعباء . وتحدث الاستاذ يعقوب الغنيم وكيل وزارة التربية الكويتية فقال ان في كل بيت حكاية عنه وفي كل زاوية قصة ..

وذكر اللواء احمد ممدوح حسن حديث النبي عليه السلام « ان الله تعالى يختص من عباده من يقضون حوائج الناس » .. وطبق هذا الحديث على حياة سعيد .

وتحدث آخرون منهم الاستاذ محمد صيام والدكتور عبد الوهاب راشد والاستاذ عبد الرحمن البرغوثي فكانوا في عنان واحد من تسليـــط الاضواء على جوانب هذه الشخصية الفذة .

وبعد أن القى الاستاذ سعد الناهض كلمة وزارة الصحة ، كان اخر الاصوات صوت مصر على لسان سفيرها الاستاذ عز العرب امين ، فقال ان الجالية المصرية ترى في الفقيد ابنا بارا لمصر وخير سفير لها .. اخذ عن أرضها الطيبة كل ما فيها من الخير والعطاء وعن النيل كل ما فيه من اغداق

.. ولكنه لم يتقوقع في حدود مصريته فلم يفرق في المعاملة والبذل والمروءة بين جنسية وأخرى فكان من رحمة الله بالجميع .. وقال السفير ان ما يرضي سعيدا ليس أن نحزن عليه ولكن أن نكمل رسالته فتستمر من بعده .. وقال لقد فكرنا في انشاء صندوق الزكاة او صندوق المروءة واحترنا في وجه الانفاق حتى استقر رأينا على أن نعطيه مطمئنين للدكتور سعيد ونلقى المسئولية كاملة له فهو على كل حال كان ينفق من جيبه الخاص ، وزرته في المستشفى وعرضت عليه المشروع فرضي واستبشر ، والآن أعتقد أن الواجب أن نفعل ما كان يفعله سعيد للمساكين والمحتاجين « رعية سعيد » .. وأقترح أن يوكل الامر الى جماعة تحمل العبء الذي كان يحمله ويسمى المشروع « جماعة سعيد النجار » أو « صندوق سعيد النجار » .

وكما نعاه الخطباء نعاه الكتاب في طائفة من المقالات من مصادر متعددة لا يتسع المقام لايرادها وانما نجتزيء ببعض عن كل .

تحت عنوان « من الاولياء الصالحين » كتب الدكتور أحمد شوقي الفنجري بجريدة الراي العام الكويتية في ٢٠ اكتوبر ١٩٧٢ كلمة نلخصها فيما يلي :

اذا كان ممكنا في عصرنا هذا أن يوجد على الارض انسان ممن نسميهم أولياء الله الصالحين فلا ريب أنه كان المغفور له الدكتور سعيد النجار .

ولقد مات سعيد النجار .. والاحرى أن نقول استشهد لانه مات وهو يسعى على حاجات المحتاجين ويبحث عن عمل للعاطل ومال للمدين وحل لكل مشكلة ..

تدخل بيته في الفجر فتراه مليئا .. وتذهب للمطار في الليل فتجده يودع أو يستقبل من يعرف ومن لا يعرف .. وتزور المستشفيات في حر الظهيرة فتجده يوصل مريضا أو يعود مريضا ! ويأتيه الانذار الاول بمرض القلب فيتصرف تصرف من لا يعاف الموت ولا يتمسك بأهداب الحياة ولا يغير من منهاجه شيئا . أيام كان طالبا في الطب لفت نظر الاساتذة بالاعداد الكبيرة من المرضى الذين كان يحضرهم ويوصي عليهم .. وحسبوه سمسار مرضى فأخذوا يسألون المرضى فعلموا

أنه في الغالب الاعم كان يعطي الفقير منهم بعض المال أو يشتري له الدواء ان لم يتوافر في قصر العيني . كان المرضى يلقبونه بالشيخ سعيد .. وكان الاساتذة يتنبأون بفشله في الامتحان فماجأهم بنجاح مبين . وبذل ما بذل في حرب فلسطين سنة ٤٨ وفي حرب الفدائيين بالقناة سنة ٥١ .. ومنذ توظف كان سعيه في حاجات الناس مثار اعتراض رؤسائه أو اساتذته الذين ينهرونه لاحضار مرضى لهم فاذا به في اليوم التالي يحضر مزيدا من المرضى .. وكثر سعيه في الخير فكان رأيه واصراره وجرأته وتجمع الناس حوله سببا في أن يتلبد في وجهه الغيم السياسي فترك الى الكويت عام ١٩٥٧ ليستمر في سيرته في معونة المحتاج ورعاية الصغير والكبير ..

وكان الذين لا يعرفون الدكتور سعيد يحتارون في أمره ولا يجد منطقهم تعليلا لهذه الخدمات التي يتطوع بتقديمها لهم ، بل في بعض الاحيان يفرضها عليهم فرضا .. حكى لي أحد عمال المباني أنه مرض مرضا شديدا اقعده في البيت عن العمل . وراح زملاؤه في السكن يبحثون عن طبيب فدلهم بعض الناس على الدكتور سعيد النجار ، الذي صحبهم الى المريض وعاينه واعطاه العلاج وخرج . ولكن الذي ادهشهم هو أن الدكتور سعيد داوم على زيارتهم كل ليلة بعد منتصف الليل وعلى مدى خمس عشرة ليلة محضرا معه ما يلزم من دواء وفي بعض المرات هدايا من الحلوى . وعندما تماثل المريض للشفاء أخذ الجماعة يتفاوضون في المبلغ الذي يشترون به هدية للطبيب .. ولكن الطبيب في الزيارة الاخيرة سأل المريض عن اجره اليومي .. واعطاه مبلغا من المال يساوي اجره عن المدة التي أقعده فيها المرض .

هذه قصة من آلاف القصص عن تعامله مع الناس دون تفرقة بين لون أو جنس أو دين .. هكذا كان سعيد النجار .. كان أبا واخا وصديقا .. وكان وحده سفارة ووزارة ومنارة .. وكان بيته ملجأ وبنكا ومستشفى .

وتحت عنوان « ظاهرة نادرة اختفت » كتب الاستاذ خالد خلف المحامي في الراي العام في ١٨ اكتوبر ١٩٧٢ :

منذ أيام قليلة فقدت الكويت أحد العاملين بها ، ولم يكن ذلك الفقيد بالشخص العادي الذي تمر وفاته دون أن يضطر المرء ذو الضمير

الحي والقادر على الكتابة أن يقول في رثائه كلمة حق يستحقها .

والذي فقدناه منذ أيام هو ذلك الانسان الذي وهب نفسه طيلة السنوات التي عمل فيها في الكويت لخدمة الانسانية .. لانه بالرغم من أنه كان طبيبا عاما الا أنه كان قبل ذلك وبعد ذلك انسانا يخدم الانسانية بكل جوارحه .

وليس في الكويت من لم يعرف ذلك الطبيب الانسان . فقد كان شعلة من النشاط يخدم الكبير والصغير ، لا فرق عنده بين انسان وانسان ، ولم يكن يعرف للعلاج دواما ، بالرغم من أنه كان طبيبا في وزارة الصحة الا أن دوامه كان على مدار ساعات اليوم ليله ونهاره ، في العيادة وفي المنازل وفي الشوارع وفي كل مكان .

ولم تكن خدماته تقتصر على معالجة المرضى وانما كانت تتعداها الى مجالات كثيرة لا يتسع المجال هنا لذكرها ، وانما كلها كانت تدل على انسانية ذلك الرجل الذي كان شعلة من نشاط وحيوية وانسانية . وكان عليه الرحمة يهمل نفسه ويهمل اهل بيته وأولاده حتى يستطيع أن يرضي الناس ، كان قاسيا على نفسه واهله بقدر ما كان رحيما بالناس أجمع ، حتى أن الانسان كان يشفق عليه من كل الذي كان يفعله ، وحتى وزارة الصحة — على قدر علمي — كانت تعرف ذلك ولذلك لم يكن ليحاسب على مواعيد عمل او انتظام في لجان أو دقة في تأدية الواجب ، لانهم كانوا يعرفون انه يؤدي واجبات كثيرة اكثر بكثير مما يطلب منه ، أو أكثر بكثير مما يمكن لطبيب أن يؤديها للمواطنين .

وكان رحمه الله معروفا من الجميع ، محبوبا من كل من يعرفه ، وكان محبوه يتجنبون تكليفه بأي عمل حتى لا يضيفوا الى ما يتحمله من اعباء مشاكل واعباء ، وذلك رحمة به وبصحته التي أضناها التعب في السنوات القليلة الاخيرة .

ولما انتشر خبر وفاته سارع الذين يعرفونه يعزون في وفاته ، وكان كل منهم يعزي الاخر وكأن كلا منهم فقد عزيزا عليه ، لانه كان فعلا عزيزا ومحبوبا من الجميع ، وكان كل واحد يعتبره فقيده هو مما يسمح له بتلقي العزاء فيه .

والحقيقة التي لا تقبل الشك والتأويل أن ذلك الرجل الانسان كان ظاهرة نادرة في مجتمعنا قلما تجد انسانا في مثل وضعه ، وهذه الظاهرة النادرة الجميلة بوفاته تختفي من المجتمع .. رحم الله الدكتور الانسان، سعيد النجار .

أما الاستاذ الدكتور عبد الفتاح طيرة الاستاذ بكلية الطب بجامعة القاهرة وصديق عمره منذ الطفولة فقد كتب يقول :

كانت حياته أسطورة لا يكاد يصدقها الناس لولا أنهم يرونها وينعمون بها .. كان مجرد وجوده في مجتمع ما كفيلا بأن يجعل كل من فيه يشعر بالطمأنينة وعدم الخوف وكأنه حصن يحمي كلا منهم من الحاجة والضيم والمرض والوحدة واليأس والحزن . عرفته منذ الدراسة الثانوية ودخلنا معا كلية الطب فكنا رفيقين وصديقين حتى اخر حياته ، وتجاوبت عائلتانا لصداقتنا فأصبحت الام صديقة للام والاخوة أصدقاء للاخوة والاخوات صديقات للاخوات بل توثقت عرى الالفة بين جميع الاقارب والمعارف . كانت لديه رحمه الله مقدرة عجيبة على أن يؤلف بين قلوب الناس ويقنعهم بأسلوب ما على التزاور وعلى أن يحب بعضهم بعضا . وكانت صفة « قريب أو صديق محمد النجار » تصريح دخول الى قلوب الناس وشهادة ثقة وضمانا . ولم يكن عجيبا أن أفراد عائلتي مثلا حين يريدون شيئا يجدون أن لجوءهم اليه خير من استعانتهم بي .

وربما كان لوفاة والده في أول دخوله كلية الطب اثر كبير في تكوين شخصيته فقد اضطلع بالمسئوليات والواجبات مبكرا وكان حبه وحدبه ورعايته لاشقائه وشقيقاته مضرب الامثال أما رعايته وحبه وطاعته لامه الفاضلة فكانت شيئا عجيبا وكانت دائمة الدعاء له والرضى عنه ، اشارتها بالنسبة له أمر وكلمتها قانون .

كنا نقضي نهارنا معا في الكلية ونقضي الليل معا ساهرين نذاكر وندرس ، وفي هذا الجو الذي يسوده الحب والزمالة والصداقة كان لا بد لنا من أن نقضي ساعات نتسار فيها ونحكي آلامنا وآمالنا وخلجات نفوسنا وذوات صدورنا وأشهد الله أنه لم ينطق عيبا ولا غيبة ولا نميمة ، وما كان يشتهي حراما ولا ينتهك حرمة . ما ذاق يوما محرما ولا اقترف منكرا ولا جال ذلك بنفسه حتى كرغبة . كان ينظر الى البنات والنساء جميعا كأنهن أخواته وآل بيته هو مسئول عن شرفهن وكلهن بالنسبة

اليه محارم . وحتى الالفاظ التي تعود الشباب ان ينطقوها بسهولة دون حرج كانت بالنسبة له حراما بل لعلها ماكانت تجول بخاطره فلم أسمعها تخرج من فمه كفلتات لسان أبدا . لقد حفظه الله من كل عيب حتى في سني حياته المبكرة وفي عنفوان شبابه فكان أحد أولياء الله الصالحين .

كنا في فناء الكلية يوما نتسامر خلال الدقائق الخمس التي تفصل بين محاضرتين وكنا نقف في مجموعات صغيرة متفرقة . وعلى مقربة منا وقفت مجموعة من الزميلات . وكانت منهن واحدة امتازت بالجمال وفجأة رأينا زميلا يوجه آلة تصوير نحوها ويلتقط لها صورة بغير استئذان ويتركها محرجة مستاءة . ودخل المحاضر قاعة المحاضرة ودخل الجميع .. وما كادت المحاضرة تنتهي حتى رأيت محمد سعيد النجار يجري نحو الزميل فأدركته وحاصرناه وأمسكنا به واجبرناه على أن يعتذر للزميلة ويسلمها فلم التصوير لتفسده . وفي أول سنوات دراستنا بكلية الطب كنا نقتني مجموعات من العظام لدراسة التشريح .. وكنت أملك عددا كبيرا من هذه المجموعات لادرس العظام من الجنين الى الكبير . وذات يوم جاءني سعيد النجار يطلب مجموعة من العظام لانه أعطى مجموعته لاحد الزملاء الذين لا يملكون عظاما . ومرت شهور فاذا به يطلب مجموعة اخرى لأنه أعطى المجموعة الثانية لزميل آخر .. وهكذا كان يفعل بالكتب ودفاتر المحاضرات . يعطي كتبه لمن يحتاجها ثم يذهب يأخذ من هذا ليعطي ذاك ويجبر الجميع على التعاون وعمل الخير . ولست أدري كيف عرفه الزملاء جميعا كملجأ سهل مضمون يلجأون اليه كلما احتاجوا شيئا بدلا من أن يلجأوا الى زملاء قد يجيبونهم وقد لا يجيبونهم . أما هو فكان دائما يجيب ويعطي .. وكان يعرف كيف يجد وكيف يأخذ .. كان بنكا أو مصرفا للصداقة والمعونة العاجلة وغير العاجلة .

كنا نذاكر لامتحانات اخر السنة ولا نكاد نجد دقائق نأكل فيها ومع ذلك وجدناه يخرج ويقضي الساعات الطوال قبل ان يعود وعرفنا أن له قريبا شيخا فاضلا مريضا يحتاج لمن يأخذه الى الاطباء ومعامل التحليل ويشرف على اعطائه الدواء ولهذا كان يخرج في تلك الاونة الحرجة من حياتنا لانه لم يكن يستطيع ان يرفض طلب محتاج او يرى ملهوفا فلا

يغيثه . وعندما يعود كنا نلخص له ما فاته تلخيصا مهما كان فلا يقـوم مقام ما فاتـه .

بعد تخرجنا مرض احد الزملاء مرضا اقعده في البيت فترة طويلة ، وزاره الدكتور سعيد فوجده متبرما بتأخر المرض الذي يعطيه الحقن .. فاذا به يتطوع ليمر عليه يوميا لاعطاء الابر وذهب مرة فوجده نائما فأبي أن يوقظوه وانتظر حتى استيقظ .. وسهر عنده ذات مرة فلم ينصرف الا وهو على اشد التعب يغالب النعاس لدرجة أنه نزل من القطار بطريقة خاطئة فوقع وأصيبت راسه بجروح .

كان يشعر أنه يعيش في مجتمع ينشغل كل انسان فيه بنفسه بـل ويتصارع الناس فيه صراع الوحوش في الغابة حيث يضيع الضعيـف والفقير والمسكين وصاحب الحياء .. فجعل من نفسه مدافعا عن هؤلاء وضحى في ذلك بماله ووقته وصحته وعمله ومناصبه . وكنا نحس أنه مدفوع لذلك بقوة قاهرة مهما كانت التضحيات والاخطار .

عمل طبيبا في وزارة الصحة ثم مقيما في مستشفى الهلال الاحمـر بالقاهرة ثم معيدا في كلية طب القاهرة ثم كلية طب عين شمس .. وفي جميع هذه الوظائف كان يختلف مع رؤسائه فهم يتمسكـون بمواعيد الحضور والانصراف وهو يصر على أن عليه عملا محددا وواجبات محددة يعملها اما بعد ذلك فالجلوس في مكان العمل مظهرية وخداع خاصة اذا كان هناك الكثير مما تستطيع صنعه من اجل الانسانية . وكان مـن العجيب أن نرى هذا الانسان الطيب الذي يستطيع الضعيف والمريض والمسكين أن يطوعه ، يصبح كالاسد الهصور حين يغضب لما يعتقد أنه حق أو أنه واجب عليه نحو الله ..

كثيرا ما كنت أطلب منه أن يعمل في عيادتي بدلا مني أثناء سفري أو مرضي فكان يأبى دائما أن يأخذ نصيبه من الايراد بل كنت اعلم أنه يدفع مواصلاته . وكان يفعل نفس الشيء مع غيري . وكثيرا ما كان يأتي الى العيادة أحد المرضى أو الجرحى من الذين تستدعي حالتهم علاجا سريعا في المستشفى فكان يأخذه بنفسه فيسيارة أجرة على نفقته الى المستشفى ويتولى ادخاله ويشرف على اتمام ما يلزمه من ابحاث وجراحة ولا يتركه الا مطمئنا عليه ثم يعود الى العيادة وقلما مكث فيها من ينتظره . كان يرى

أن مهنة الطب ينبغي الا تكون مهنة تجارية وأن على المجتمع أن يتكفل بالمريض وبالطبيب . أما جهاده لوطنه ودينه وعروبته فله فيه صفحات مجيدة لا يعرفها الناس لانه لم يكن يتكلم بها بل يعتبرها أسرارا .. ولكنه لم يكن سياسيا محترفا ممن يتقنون الدهاء والمداراة ، وكان يقول الحق دون مواربة لا يخشى فيه لومة لائم فكان الكل يحترمونه ويهابونه ولكن لا يرون فيه مرونة السياسة ، ولو كان على شيء من المكر والمرونة لكان في وسعه أن يصل الى أعلى المناصب وان يحصل من القوة والمال الكثير.

أما حديثه عن معارفه واصدقائه فكان دائما حديث المحب لهم الفخور بحسناتهم يشيد في زهو بانجازاتهم العلمية أو تفوقهم أو رقيهم في مناصبهم .. رحمه الله .. فستمر أجيال واجيال حتى يتكرر مثيله .

ولكن سيرة الدكتور سعيد النجار بعد أن يدع الخطباء منابرهم ويرفع الكتاب أقلامهم تظل جديدة متجددة ويظل كل من عرفه رطب اللسان بذكره رغم مرور الايام والاعوام .

خرجنا من المسجد ذات جمعة بعد أداء الصلاة وفيما نحن نتصافح ونتبادل التحية اذا بذكراه ترد لا اعلم من أين وكأنها العطر الفواح . واستقطبت الاحاديث مزيدا من المصلين لا يعرف بعضهم بعضا وانما اجتمعوا على معرفته ومحبته .. وائتلف أمام المسجد جمع يتحدث عن ذكرياته واخباره .. قال قائل منهم مرت بي ظروف ذات مرة فاذا أنا مودع في السجن ، واهمني أمر العيال ولا عائل لهم الا ما أتكسبه من عملي يوما بيوم ، فلما خرجت وجدت أن طعامهم كان يأتي اليهم كل يوم من بيت الدكتور سعيد النجار .

وقال آخر جمعنا مجلس مرة ودار الحديث بصدفة غير هادفة فعلم أن ابني التلميذ يجد صعوبة في مادة الرياضة ، وفوجئت بعد أيام بمدرس للرياضة يطرق بابي ليعطي ابني درسا خصوصيا ويقول ان حسابه خالص من طرف الدكتور سعيد النجار . وتوالت الامثلة فوت العد والحصر .

وتدخل كل وزارة وكل ديوان وكل مصلحة فتسمع عن خدماته .. وما كان ليذكرها أو يرويها وانما كانت لديه كالانفاس تتردد في صدره تلقائيا وتهييء له استمرار الحياة . ولهذا فمن العسير على مؤرخ أن يحصى عليه ، وحسبه أن الله بكل شيء عليم .

حدثنا الاخ الفاضل برجس الحمود البرجس وكيل وزارة الصحة انه كان في بهو الوزارة مع صديق فيما اتجه الدكتور سعيد خارجا فحياهما .. وعند الباب وقف رجل يدل مظهره على قهر الزمان ورقة الحال .. واختفى سعيد النجار خارجا ولكن الاخ برجس قال لصاحبه : سيعود سعيد النجار ليعطي الرجل شيئا من المال فانه لم يرد أن نراه . وانتحيا جانبا فاذا سعيد يعود ليضع في يد الرجل هديته خفية كأنه يصافحه .

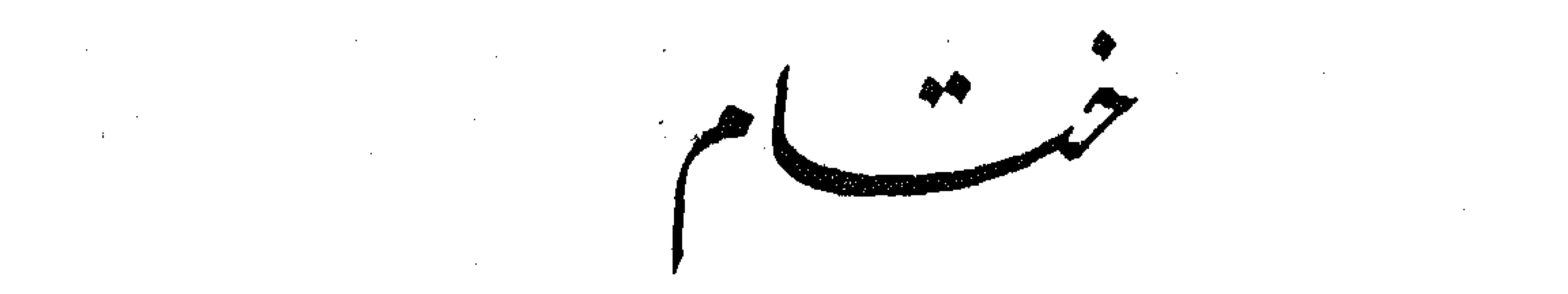
وفي الطائرة يلقى أحد معارفه رجلا جاء من مصر يبحث عن عمل في الكويت .. فيسأله ان كان معه عقد او خطاب تقديم أو يعرف احدا أو يحمل مالا فيقول لا .. ولكنهم اخبروني ان في الكويت واحدا اسمه الدكتور سعيد النجار أذهب اليه ولا احمل هما .

ونطوف في سيرته فلا نبصر خاتمة مطاف ..

ونروي ما نروي فما نشعر انا آتيناه حقه من الانصاف ..

ويظل ذكره كالبحر .. شاطىء تقف عليه ..

وشاطىء تمد بصرك وتمده فلا يصل بصرك اليه !



ختام

لم اكتب هذا الكتاب بدافع من اللوعة على موت سعيد النجار .. فأنا في حياته كنت مدركا غاية الادراك وواعيا أكبر الوعي بأنني ازاء شخصية تاريخية .. وانما اوقعها قدر الله وحكمته من الزمان والمكان بحيث تعيش معنا ونعيش معها .

ولست كاتبا محترفا ولا أنا من الذين يكتبون عن الاشخاص .. فلا بد ان الذي حركني لكتابة هذا الكتاب أمر جلل .

وهناك من سيتولاهم العجب من تأليف كتاب عن سعيد النجار .. ومن سيقولون ومن « سعيد النجار » وهو ليس حاكما ولا زعيما ولا فيلسوفا ولا قائدا ممن طبقت شهرتهم الافاق ..

والذين لم يعرفوه معذورون .. والذين عرفوه وظلوا على عجبهم فكالذي يرى حروفا مرصوصة ولكن بلغة لا يفهمها .. فهو يراها بعينه فقط . ويوم تظل الماسة الكبيرة مطمورة في جبل من الفحم فهي ماسة لا يعيبها أنها مطمورة ولا ينقص من قيمتها أنها من معدن الفحم .. وفي الناس من لهم اعين لا يبصرون بها .. وآذان لا يسمعون بها .. وأفئدة لا يتفكرون بها ..

والذين لم يعرفوا سعيدا سيجدون هذا الكتاب تعريفا به .. والذين عرفوه سطحيا ولم ينفذوا الى اعماقه ولم يفهموا مداه فهذا الكتاب يترجم لهم شخصيته ويفكك لهم شفرته ..

والذين عرفوه وفهموه وقدروه سيجدون في هذا الكتاب نغمة عذبة طربوا لها ويسعدهم أن تظل مسجلة يرجعون اليها وينصتون لها ويطربون بها آنا بعد آن .

ثم هو تراث وميراث ومثال يهديه الجيل الى الجيل .. ويساعد في ترسيخ القيم وتثبيتها خشية ان تبهت أو تحول أو تزول .

على أن هذا الكتاب — وأود أن يكون هذا واضحا كل الوضوح — ليس دفاعا عن سعيد النجار أو تمجيدا له ، وانما أردت أن أصفه واثبت معالم شخصيته كما هي فحسب .

وقد سبق في هذه الصفحات انني حاولت كثيرا أن أقنع سعيد النجار ان يعدل من طريقته في ممارسة المحبة وان ادخل عليها شيئا من القواعد التنظيمية والضوابط والتنسيق .. وحاولت أن اقنع الناس كذلك ان تكون محبتهم له محبة عملية لا تحرمه من حقه وحق بيته وأولاده فلا يكون المقابل لسعة العطاء من جانبه مزيدا من الاستهلاك من جانبهم .

أنا اذن اشاطر الدكتور سعيد رحمه الله الاستراتيجية ولكن أختلف معه في التكتيك ،على ما يقولون في المصطلح العسكري .

فأنا اومن معه أن المحبة ينبغي ان تسود وأن تقود .. وانها يجب أن تكون الركيزة والقوة المحركة في تعامل الناس مع الناس على معرفة أو غير معرفة . ولكنني بجانب ذلك أومن بالتنظيم اشد الايمان . وافضل أن أرسم لعملي اليومي أو الشهري او السنوي منهاجا وخطة وان لم اغفل في « الحساب » جانب المرونة والقدرة على التحرك لملاقاة غير المتوقع . وافضل أن استقبل مرضاي على موعد ما لم يكن هناك فعلا ظرف يستحق الخروج من اجله على النظام فلا غضاضة اذن ولا بأس .. وأفضل ليلة عملياتي أن انام مبكرا لاكون على اليق حال في الصباح . وأصون وقت القراءة كما أصون وقت العبادة فكلاهما واجب . وآخذ نفسي بشيء من الرياضة احببت ام لم احب . واوجب أن تكون اجازاتي راحة بعد تعب واسترخاء بعد توتر وصيانة لهذا الجسم ولهذه النفس على قياس صيانة السيارة سواء بسواء .

والمهم انني لا افعل ذلك من أجل نفسي فقط ولكن من أجل مهنتي ومرضاي .. ولا اصدر فيه عن اثرة بل كذلك ايثار .. فأنا أريد لهذه « الوحدة الطبية » التي هي « أنا » أن تكون دائما على احسن حالاتها وأتم استعدادها وأكمل لياقتها لممارسة ما يوكل اليها من اعباء طبية فيها اليسير وفيها العسير وفيها ما يتطلب صفاء الذهن وحدة الفكر وسرعة

اتخاذ القرار الخطير .. فوق الجلد والدأب ورباطة الجأش والصمود امام الواجب على مدى زمن قد يطول بحساب الزمن أو حساب العبء . ولا يعني ذلك انني غير عاطفي أو انني لاحب مرضاي . والحق انني في أعماقي مرهف العاطفة ولكن حتى العاطفة عندي ينبغي أن تخضـــع للتنظيم والتدقيق .. المحبة عندي هي وقود المركب ولكن للخريطة والبوصلة وعجلة القيادة بعد ذلك منطقها الخاص وحساباتها المحسوبة .

ومع هذا فأنا اعتقد ــ مصيبا أو مخطئا ــ أن سعيد النجار هـــو القمة وأنني وأمثالي في مكان ما يقع ما بين السفح وما قرب القمة . والقمة واحدة لاتتعدد .. وما دونها من المواقع قابل للتكرار والتعداد .. وفيمن عرفت من الناس كان سعيد النجار هو القمة الوحيدة المتفردة .. واشعر ان امثاله كانوا قلة محدودة منذ الفترة التي تلت صدر الاسلام الى يومنـــا هـــذا .

ولا ينبغي أن يكون هذا التصوير مدعاة خطأ أخشى أن يقع فيـــه البعض .. وهو « عزل » سعيد النجار وحيدا غريبا فريدا فوق هـــذه القمة المتفردة وتوهم ان له اذن دنياه ولنا دنيانا .

بل انه في الحق هو اللواء .. بموضعه وبموقعه .. وواجبنا ان نتجمع حوله وان نسعى اليه وأن نقتدي به فيما ملأ قلبه به ونذر حياتـــه له من محبة لله وخلقه وفناء في الله ورسوله .

وتأتي اهميته بالذات في أن معناه الذي اصبح عليه علما ، ومحور حياته المتمثل في محبة الناس على أوسع مدى تتحمله كلمة « الناس » .. ما زلنا ننظر في عالمنا العربي فنجده فقيرا كل الفقر في هذه الروح ..

ما زالت كلمة « لا » في عالمنا العربي هي مفتاحه .. والتشبيـــه قريب الآصرة بالبيت المشهور :

ما قال «لا» قط الا في تشهده لولا التشهـــد كانت لاؤه نعم

ما زال معنى « انا » بيننا يغلب معنى « غيري » .. ومعنى «آخذ» يغلب معنى «أعطى» .. ومعنى « استخدم » يغلب معنى « أخدم » .. وما زالت كلمة « ممنوع » من معالم حياتنا اكثر من كلمة « مسموح » .. هذه « المونة » التي تكون بين قالب الطوب وقالب الطوب لتتماســك

بها القوالب فتصبح جدرانا فبنيانا ما زالت مفقودة الى حد كبير بين أبناء أمتنا العربية .. فلم يعد غريبا أن يسمى العربي أجنبيا في اجزاء من العالم العربي ، بل ان العربي ليعتبر أجنبيا في « نفس » أخيه العربي ولو كانا من بلد واحد .

الروح التي كانت بين المهاجرين والانصار في مطالع تكويننا كأمة كأنها زالت من الناحية العملية ، أيام كان المهاجر يؤاخي النصير فيشركه بالسوية في ماله ومتاعه بل يذهب البعض الى مدى أن يقول لي زوجتان فدعني أطلق احداهما فتتزوجها ..

وحلت محلها روح ما كان بين الاوس والخزرج على جاهليتهما لا على اسلامهما ، او روح اتسبقني وانا ابن الاكرمين على لسان ابن عمرو في مصر لولا أن أديه عمر ، أو روح « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه ابدا » كما صور القرآن الكريم وأورد رد صاحبه عليه « ان ترن أنا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء » ..

لم نتفكك فحسب أمما ودولا وانما انحلت الروابط على النطاق الفردي حتى صار الاعم الاغلب أن تعيش لنفسك والاقل المغلوب أن تحب لاخيك ما تحب لنفسك .

في أمتنا أزمة محبة .. وهي موجودة كذلك في العالم تفرطه الى كتل يجابه بعضها بعضا ويتربص بعضها ببعض .. وفي قمة معجزات العلم يظل من الصحيح أن نقول ان الانسان الذي وصل الى القمر لم يصل بعد الى قلب أخيه الانسان .

والفقر في الحب ترك غيرنا كتلا ولكن كل كتلة منها متماسكة فيما بينها .. والزائر العربي لبلاد كبريطانيا أو سويسرا أو غيرها يدهش للعلاقات العادية واسلوب التعامل بين الناس والناس ولا يخطىء أن يرى أن اساسه المحبة ..

اما نحن فانفرطنا لا كتلا ولا دولا ولكن أفرادا وأشخاصا يعيش كل منهم داخل نفسه ويتقي كل منهم غيره ..

.. وفي أزمة المحبة هذه سنفشل وتذهب ريحنا وتنطفيء نارنا ونذهب غثاء كغثاء السيل .

المحبـــة ..

ويأتي من بعد ذلك التنظيم والاعمار والاعداد والاستعداد في تعليم أو سياسة أو اقتصاد أو تصنيع أو زراعة أو تجارة أو تنمية أو تسليح .. لان كل ذلك بناء على غير أساس ما دام الناس يتخامشون أو يتكارهون أو يختلس بعضهم حق « الغير » خلسة أو يغتاله اغتيـــالا ..

المحبـــة !!

وهنـــا آية سعيد النجار .

لان السقاء الذي يقدمـــه يروي ظمأنا الاكبر ..

والزاد الذي يعطيه هو شبع جوعنا الاشد ..

وفي « نقص التغذية » الذي يجتاح الامة العربية ــ ولنستعمـــل التعبير الطبي ــ فان سعيد النجار يهيىء المادة الناقصة بالذات وهـــي المحبة .. ويقدم بالذات الفيتامين المفقود فهو المطلوب .

ولعل هذا الكتاب يرسم « للناس » اذن قسمات شخصية عاشت وماتت فمثلت المحبة وكيف تكون ..

لم يخطب .. ولم يكتب . ولم يعظ .. ولكنه عاش دينه فدعا اليه بأبلغ دعوة وهي القدوة ..

وآمل بذلك أن اكون أديت دينا وأمانة ..

اما هل بلغـــت ؟

اللهم فاشهـــد .

وآخر الدعوى أن الحمد لله رب العالمين .

حسان حتحوت

محتويات الكتاب

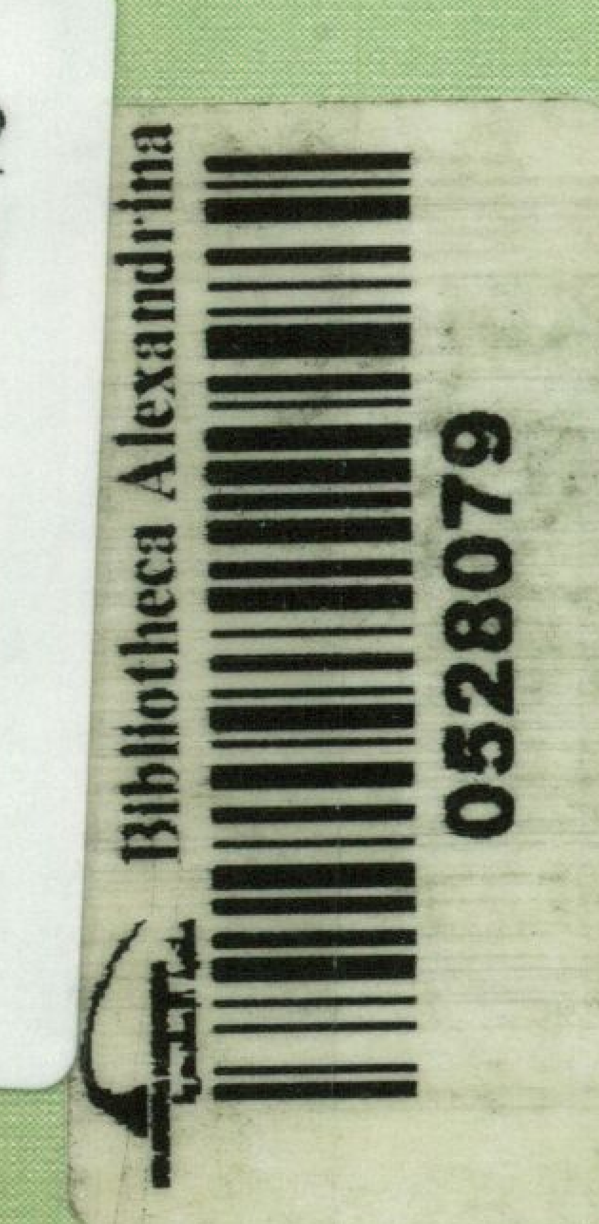
المطبعة العصرية - الكويت

بالصدفة المحضة عرفت عن هذا الكتاب ...
فلما عرفت أن مؤلفه الدكتور حسان حتحوت قد رصد ريعه لخير بدأه المرحوم الدكتور محمد سعيد النجار لم أتردد في أن أعرض عليه أن تتولى دار ذات السلاسل طبعه ونشره بسعر التكلفة ، وفاء منا لذكرى سعيد النجار ، وقضاء لدينه على المجتمع الذي عاش فيه ، وحفظا لسيرته لتكون نبراسا ومنهاجا ، واعمالا لخير يستمر بعد حياته كما كان طول حياته ..

وما أن عرضت طبع هذا الكتاب على السيد هاشم أديب حجاوي مدير المطبعة العصرية حتى بادر مشكورا بالموافقة على طبع الكتاب باقل من سعر التكلفة مساهمة منه في الخير الذي بدأه المرحوم الدكتور سعيد النجار .

لقد كان رحمه الله ظاهرة أكثر منه شخصا .. وكان خيرا محضا وعطاء لا ينفد وطاقة لا تنوء .. رحمه الله ونفع بسيرته من بعده وجزاه أحسن الجزاء ..

عن دار ذات السلاسل
عبد العزيز محمد المنصور



المطبعة العصرية - الكويت